المعتمد في الاصطلاح

مجلة يصدرها مخبر تعريب المصطلح في العلوم الإنسانية

و الاجتماعية . جامعة أبي بكر بلقايد .

مدير المجلة : أ.د. محمد عباس .

رئيس التحرير: أ.د. رضوان النجار .

هيئة التحرير

- أ.د.محمد عباس .
- د.مختاري زين الدين .
- أ. خير الدين سيب .
- د. غيثري سيدي محمد
- د.محمد محي الدين
- أ. تاج محمد

هيئة القراءة

- أ.د.محمد عباس
- أ.د. رضوان النجار
- د. غيثري سيدي محمد
- د.مختاري زين الدين
- أ.د. قدور ابراهيم عمار
- د. بلوحي محمد
- د. دكار احمد .
- أ. دايم بلقاسم .

الهيئة الاستشارية

- أ.د.عبدالله بوخلخال (قسنطينة)
- أ.د.سالم علوي .(الجزائر).
- أ.د.زبير دراقي .(تلمسان).
- أ.د.عشراتي سليمان.(وهران).
- أ.د.قلفاط شكري .(تلمسان).
- أ.د.مختاري نويوات (عنابة) .

بقلم مدير المجلة أ/د محمد عباس

لما اهتدى بنا التفكير إلى إنشاء مجلة تصدر باسم مخبر التعريب المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية وتضمن تسجيلا لبعض النشاط العلمي لسير المخبر، التفتنا إلى توجيه طلبتنا بغية إشراكهم في الإسهام الثقافي والفكري وتعويدهم على سبل البحث العلمي بطريقة تكفل لهم كيفية التوفيق بين دراستهم وبحوثهم العلمية الجامعية الخاضعة للبرامج الدراسية وبين استغلال هذه الدراسة والبحوث في رسائل جامعية تتحقق فيها جهود الطلبة العلمية وتجربتهم في ممارسة البحث العلمي بالطريقة التي تقتضيها المنهجية العلمية ويرتضيها الأستاذ المشرف على هذه الرسائل بالكفاءة الإرشادية من أجل التحصيل العلمي قبل كل فعل آخر، فلما أدركنا بعض بوادر النجابة والاستجابة منحنا سبل التشجيع لهؤلاء الطلبة الذين رعتهم يد العناية العلمية فأنجزوا بحوثا سمت إلى أفق

الاستحقاق فنالوا حظا في التوصية بطبع أعمالهم العلمية فكان من بين هذه الإسهامات الموضوع الذي اتصل بالمحور الرئيسي للمخبر في مضمون المصطلح اللغوي بين القدماء والمحدثين.

لأجل هذا كان إنجاز هذا العمل على صفحات مجلة **المعتمد في الاصطلاح** راجين أن يكون صدى هذا العمل خطوة تقـــدم في فاعلية البحث العلمي.

والله الموفق

مقدمة

قال أحد اللغويين : " أقول في المقول وأعمل المعقول في المنقول "و انطلاقا من هذا القول : نقول : كم نألم أشدّ الألم عندما نسمع كثيرا من الناس من جانبه الصواب إما عن جهل أو ضغينة ، يقول : " إنّ العربية نصف ميتة ، لأنها تُقرأ وتُكتَب ، وقليل من يتحدث بها ، وإنها تومي على الماضي أكثر مما تحيل على الحاضر ، ولا علاقة لها بالمستقبل"

وفي هذا المقام لا بد من ثورة فكرية ضد أنفسنا لتغيير استراتيجيتنا والتخطيط بمنطق العلم.

ولقد أقبلنا على هذا العمل وفي نفوسنا من التردد أكثر من الاطمئنان ، مترددين لأنّ القارئ يقرا عناوين بُحثت فيها وكثرت محاولات الكلام عنها ، وخاصة أنّ البحث في موضوع اللّغة نال نصيبا هاما ، لكن وكما يُقال أنّ كل نسق فكري لا يتجدّد ، معرّض للتحجّر والبلي.

ومما شجّعنا على اختيار هذا الموضوع هو :

- ما تزخر به لغتنا الحضارية وتجود به ملكات أدبائنا القوية المطبوعة الّتي استطاعت أنّ تتصدى لعصرها.

- وإرشاد أستاذنا المشرف إلى اختيار هذا الموضوع محطة للبحث فيه .

والجديد في هذا البحث هو النظر إلى الموضوع بالعودة إلى أصله مع محاولات الاستنارة بالآراء الحديثة ، ومن هنا فلقد وضعنا لهذا البحث خطّة آملين أن تحيط بما نروم الوصول إليه، وتتوزع على مدخل ، حاولنا أن نلقي فيه نظرة على اللّغة والكلام والعلاقة بينهما.

وخصّصنا فصلين تناولنا في أحدهما بسطا وعرضا ، رأي بعض علماء اللغة القدماء أهمهم : الخليل بن أحمد ، وابن جني وابن فارس.

* فأما الأول أي " الخليل بن أحمد " فقد ذهب إلى إجراء حصر اللّغة العربية وذلك من خلال معجمه " العين " بترتيب حروفه حسب مخارجها وتبويبه واتباعه نظام الأبنية ، ثم جاء بطريقة للكشف عن الكلمات وتتمثل في التقاليب المهمل

والمستعمل ، ووضع للمعجم أبوابا بحسب أبنيته ، فكان هذا الكتاب مصدر إلهام اللغويين ، نهجوا نهجه واحتذوه.

أما " ابن فارس " في معجمه " مقاييس اللّغة " بيّن لنا المنهج الذي اتبعه ، والترتيب الذي سار عليه المعجم والمتمثل في الترتيب اللاألفبائي ، واعتمد الأصول عن التقاليب ثم درس المعجم من حيث مواده ، ووضع له خصائص تميّزه عن باقي المعاجم الأخرى ومن بينها فكرة "المقاييس".

- و" ابن جني " في معجمه "سر صناعة الإعراب" فقد ضمّن مادة علمية لم تتوفر في أي كتاب آخر ، فهو كتاب فريد في نظمه وتبويبه وموضوعه ، حيث وضع لمعجمه منهجا يسير عليه ورتّبه ترتيبا ألفبائيا وقام بتبويبه ، فوضع له خصائص ينفرد بها لنفسه عن غيره .

وعالجنا في الفصل الآخر وهو الثاني جهود بعض العلماء المحدثين في اللّغة منهم :

" علي عبد الواحد " : الذي قام بدراسة اللّغة من حيث نشأتها وتطورها وحياتها وصراعها مع لغات أخرى ، وجعل لها

عوامل تساعد على بقائها ، وبيّن الجديد الذي يجب أن تكون عليه.

أما " إبراهيم السامرائي " فقد بحث في تاريخ اللّغة ، فعرّف اللهجة وتناول المشكلة اللغوية والتطور اللغوي والانقسام والتوحد اللغوي ، والجديد اللغوي.

ونجد " تمام حسّان " يفرق بين اللهجة والفصحى ومدى الحاجة إلى منهج للّغة ، وضرورة تجديده واستقلاله عن المناهج الأخرى ، ثمّ وضح موقف الفرد من تناول اللّغة وأثره في نموها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي مستعينين بالتحليل والاستقراء.

والغرض من هذا البحث يتجلى في أنّ حياة اللّغة وارتقائها مبنيان على قدر نصيب أهلها من الاجتهاد ، حيث كلّما علمت شيئا غابت عنك أشياء.

ولم يكن سبيل البحث ممهدا في البداية بل واجهتها بعض الصعوبات أبرزها :

1- أنّه أول بحث نقوم به على هذا القدر.

لكان يُستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

* والله المستعان — وهو وليّ التوفيق

2- صعوبة الحصول على المصادر والمراجع بسبب انعدامها أحيانا واستغلالها وأخذها من قبل طلبة آخرين أحيانا أخرى.

وأمّا المصادر والمراجع الّتي توفرت لدينا فهي في اعتمادنا على كتاب "العين " للخليل و" سر صناعة الإعراب" لابن جني ، و"المقاييس" لابن فارس. و"العلامة اللغوي ابن فارس الرازي" لمحمد مصطفى رضوان وكتاب "التطور اللغوي التاريخي " لإبراهيم السامرائي "ومناهج اللّغة" لتمام حسّان وكتاب "علم اللّغة" بعبد الواحد وافي.

3- صعوبة الموضوع في بداية الأمر الذي بدأ يزول بفضل توجيهات الأستاذ الفاضل.

ولا ندّعي أننا استوفينا البحث ، بل يبقى بحر اللّغة عميقا لمن أراد الغوص فيه. ونأمل من أساتذتنا الكرام ألا يحرمونا من فضلهم وإرشادهم إلى كلّ ما يحتاج إلى تجديد أو تعديل.

وفي الختام نرجو أن يكون هذا العمل عونا للطالب ، ولا نزعم أنّه سدّ الحاجة لأنّ أيّ عمل لا يخلوا من النقائص. وفي هذا لا يسعنا سوى أن نقول قول الأصفهاني " إنّي رأيت أنّه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلاّ قال في غده : لو غُيّر هذا

المدخل

بين اللّغة والكلام

إنّ أيّ محاولة لتعريف اللّغة في بضع كلمات ، نظنّ أنّنا نعرف عنها كلّ شيء ، فذلك خداع ناشئ من تربيتنا.

فاللّغة بمجرّد أن نتعلّمها يتهيّأ لنا أنّنا قد ملكناها إلى الأبد إلى أن يحدث العكس ، أو نجد أنفسنا مضطرين لاستعمالها بطريقة غير مألوفة[1].

ودون مبالغة نقول إنّ اللّغة ظاهرة معقدة جدّاً ، نحتاج لجهد كبير كي نفهمها ، فهي الجسر الذي يصل بين الحياة والفكر ، ولهذا كانت الكلمة رمز الخلق والإيجاد ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[2] ، ولهذا كان الكلام فيما مضى أداة السّحر ، حيث وفّق الشاعر الجاهلي ، إذا جعل الكلام نصف الحياة الإنسانية :

---

[1] – يُنظر : دافيد كريستل : التعريف بعلم اللّغة ، ترجمة : حلمي خليل – ص 88.

[2] – سورة يس – الآية 82.

لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده ۞ فلم يبق إلاّ صورة اللّحم والدّم

ويكفي لنُقدّر قيمة اللّغة أنّ نتصوّر الحياة البشرية بدون لغة ، كيف تكون وماذا يبقى منها ؟

إذن ، يصعب علينا أن نكوّن لأنفسنا تعريفاً شاملاً ودقيقاً ، لا سيما وقد أصبح علماً متشعّب الفروع ، فهي القالب الذي يصبُّ فيه التفكير ، كلّما ضاق هذا القالب ضاق نطاق الفكر واختلّ إنتاجه.

ومن هنا نتعرّض إلى تعريف اللّغة ، لغة واصطلاحا.

تعريف اللّغة :

لـــغة : هي من مادة " ل غ و " وهي : اللّسن وحدّها أنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم.

(ج) لغىً ولغات. يقال : سمعت لغاتهم : اختلاف كلامهم. وهي فعلةٌ من لَغَوْتُ أي تكلّمتُ ، أصلها : لُغْوَةٌ ككرة وقُلة وثبّة ، كلّها لاماتها واوات[1].

– ولغا في القول لغْواً : أخطأ وقال باطلا ، ويقال لغا فُلان لَغواً : تكلّم باللّغو ، ولغا بكذا: تكلّم به ، ولغا عن الصّواب وعن الطريق : مال عنه ولغا الشيء : بطل ، ولغا بالأمر : أولع به ، ولغا بالشيء لزمه لم يفارقه ، ولغا الماء والشراب : أكثر منه وهو مع ذلك لا يَرْوى ، ولغا الطائر بصوته : نَغَم ، واللّغا : ما لا يُعتدّ به[2].

واللّغا : السّقط وما لا يعتدّ به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع. وقال الأصمعي : « ذلك الشيء لك لغوٌ » ولغا ولغوى : هو الشيء الذي يعتدّ به.

---

[1] – ابن منظور : لسان العرب – لبنان – بيروت – دار صادر – 1994 – ط3 – ص 251.

[2] – ينظر : المعجم الوسيط – ج2 – ص 831.

وقال "الأزهري": واللّغة من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا : إذا تكلّم ، ويقال : لغِيَ يلغى بالأمر : لهج به[1].

ولغو الكلام : يبدُر من اللّسان ، ولا يراد معناه. ومنه اللّغوُ في اليمين ، وهو ما لا يعقد عليه القلب مثل قول القائل : لا والله ، وبلى والله.

ولَغو : ما لا يحسب في العدد في الدّية والبيع ونحوهما لصغره. كذلك " اللّغو ". قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[2] وفي الحديث : « من قال في الجمعة صه فقد لَغَا »[3].

اصطلاحا :

لقد حاول الكثير من اللّغويين والفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم إعطاء تعريفات للّغة ، فجاءت متباينة ومتقاربة في نفس الوقت ، ومن بين هذه التعريفات نجد " ابن الجنّي " فهو أوّل من عرّف اللّغة ، بما يثير دهشة الباحثين

---

[1] - ينظر : المرجع السابق – ص 250.

[2] - سورة الفرقان - الآية 72.

[3] - المعجم الوسيط – ج2 – ص 831.

البعيدين عن تطوّر الحياة العلمية العربية ، لأنّه يقترب اقترابا شديداً من كثير من تعريفات المحدثين.

يقول أبو الفتح : « باب القول على اللّغة وما هي : أمّا حدّها فإنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم »[1].

ويشمل هذا التعريف على أربعة جوانب يستحقّ كلّ جانب منها شيئا من التفصيل ، وهذه الجوانب هي :

1- أنّ اللّغة أصوات.

2- أنّ اللّغة تعبير.

3- أنّها تعبير يعبّر بها " كل قوم ".

4- أنّها تعبير عن أغراض ".

* فقوله " أنّها أصوات " حيث أطلق مصطلح " لغة " على تلك الأصوات الّتي ينتجها جهاز النّطق في الإنسان معبّرا عمّا يحسّ به من حاجات يريد بيانها والإيضاح عنها.

" بن سيده " يقول : « صوت يعبّر عن المعنى المقصود في النفس »[1].

---

[1] – ابن جنّي – الخصائص – تحقيق : محمد علي النجار – لبنان – بيروت – دار الكتاب – 1913م – ج1 – ص 33.

* وفي قوله " يعبّر بها كلّ قوم " فهو يفيد ما يلي :

1- وفاء اللّغة بحاجة أصحابها في كلّ ظروف الحياة ، وذلك لأنّ المتكلّمين متفاوتون في بيئاتهم وأعمالهم وثقافاتهم وعلمهم ، فهي تفي بغرضهم في كلّ عصر ، وتتكيّف مع كلّ تطوّر ، حتّى كأنّما هي مرآة الحياة الصّادقة تتلامح فيها كل أبعادها ، وتعكس شخصية المتكلّمين بها.

2- قدرتها على الأداء والاستمراريّة.

3- احتواؤها على كلّ ألوان الأداء ، فلا تؤدّي عن العلم وحده ، ولا عن الفكر وحده ، بل عن الحياة في كلّ ظروفها ، فهي معادل الحياة بكلّ وقائعها ، من ثمّ صحّ التعبير عن مستويات اللّغة بأنّها أحداث.

4- استغراق الاستعمال لكلّ مستوياتها ، إذ تتعرّض لكلّ تأثير في الحياة على شمولها واتّساعها ولذا فإنّها عُرضة لذلك التّأثير.

5- إنّها وسلة لا غاية ، حفظ التراث ونقله ، ذلك أنّ استعمالها والحرص على أن تكون مؤدّية عن حاجة أصحابها

---

[1] - يُنظر : آمنة بن مالك : مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي – 1987 – ص 1368.

بحق الحياة وتطوّرها ، ينفي عنها أن تكون غاية وتجعلها وَسيلة ناجعة في كلّ حال.

6- شيوع استعمالها لكلّ المتكلّمين بها دون استثناء فهي لكلّ الأعمار ولكلّ الاختصاصات، ولكلّ مستوى ثقافي.

* وقوله " عن أغراضهم " وهذا يعني أمورا أهمّها :

1- سعة تلك الأغراض وتطوّرها ، فمضيّ الزمان يقتضي التطوّر في مضمون تلك الأغراض ويُلزم أصحابها أن يبحثوا عن معادل لها من اللّغة ، وتأثير المجتمعات بعضها في بعض ، وميْل الإنسان إلى الابتكار والبحث عن الوسائل وتطويرها بقصد الرّفاهية ، وتيسير الحياة وظروفها.

2- وشمول حاجات المتحدّثين بها ، وتنوّع تلك الحاجات، وتعدّد بيئاتها وحيويّة التّعبير عنها، ومرونة عناصرها في استغراق ذلك كلّه.

3- وتحدّد هذه الأغراض وصلتها بالحياة ، وتأثيرها في اللّغة كلّها ومبادلة اللّغة ذلك التّأثير في قبولها للجديد ، وإعطائها لهُ سِمَتَهُ ومَوْضِعَهُ منها[1].

وما نستنتجه أنّ تعريف " ابن جنّي " تعريف دقيق ذكر فيه كثيرا من الجوانب المميّزة للّغة ، وأكّد على الطبيعة الصوتية للّغة ، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر ، وذكر أنّها تستخدم في كلّ مجتمع ولكلّ قوم لغتهم. ويدلّ على إحاطة اللّغويين العرب ودراستها في ذلك العصر البعيد بألفاظه وأجزاء عباراته وتحليلها في الكشف عمّا وراء كلّ منها.

وبالتالي فإنّ كلمة " لغة " أصيلة في العربيّة ، وقد استعملت فيما أوردته بمعناها الحقيقي الذي هو الأصوات الإنسانية وغيرها ، وقد أطلق اللغوّيون القدماء مصطلح " لغة " على جميع أقسام العلوم العربيّة. ومن هنا نشأت عدّة مفاهيم للّغة.

---

[1] – ينظر : المرجع نفسه – ص 145.

2- نشأة اللّغة :

في القرون الوسطى وحتى القرن التاسع عشر ظلّت دراسة اللّغة مُنصبّة على اللّغتين اللاّتينية واليونانيّة ، وكانت دراسة اللاّتينية على وجه الخصوص وسيلة لكسب الاحترام وسط المجتمع. لكن نشأة اللّغة موضوع شغل النّاس منذ القدم ، ذلك لأنّ موضوع اللّغة إنّما هو – في الحقّ – موضوع " الإنسان " ، ومنذ زمن بعيد والإنسان في حيرة بعدد من الأسئلة ، كيف نشأت اللّغة ؟ أهي وحي من عند الله علّمها الإنسان ؟ وإن كان الأمر كذلك فما هي اللّغة الأولى ؟ وكيف اختلفت اللّغات بعد ذلك ؟ أم هي من صنع الإنسان؟ وكيف صنعها ؟ إلى آخر هذه الأسئلة.

فلقد فصّل كثير من الباحثين في تأريخ اللّغة عند العرب ، وبخاصة عند تعرّضهم لتاريخ النّحو ، وهم يُرجعون نشأة الدّرس اللّغوي إلى انتشار اللّحن نتيجة دخول شعوب غيرُ عربية في الإسلام ، أي أنّ " الدّرس اللّغوي " نشأ لحفظ القرآن الكريم من " اللّحن " ، لكنّه لم يكن السّبب الأوّل ، أو

السّبب الحقيقي – فيما نعتقد – لنشأة علوم اللّغة عند العرب ، وإنّما السّبب هو السّعي لفهم النصّ وعلمٍ يسعى لحفظه من اللّحن.

منذ فترة مبكّرة في تاريخ الدّرس اللّغوي عند العرب ظهرت مجموعة من المصطلحات على أنّها أسماء لعلوم لغويّة معيّنة ، وإن كان بعضها قد استُعمل قديما وحديثا بطريقة لا تخلو من غُموض ، ومن أشهر هذه المصطلحات " اللّغة " ، " النّحو " و" العربيّة ".

أمّا اللّغة فكانوا يطلقونها على العلم الذي يختصّ بجمع الألفاظ اللّغوية ودراستها.

فهناك علماء تحدّثوا عن موضوع نشأة اللّغة " كابن فارس " الذي يقول بانّ اللّغة توقيف " و" ابن جنّي " الذي يتأرجح بين أنّها توقيف أو اصطلاح ، أو أنّ اللّغة هي محاكاة أصوات الطّبيعة. وإنّ جمهرة اللّغويين المحدثين يرفضون تغيير نشأة اللّغة بأنّها تقليد لأصوات الطّبيعة.

وممّا هو متّصل بـــ" نشأة اللّغة " ما يلفت إليه " ابن جنّي " بأنّ اللّغة لا يمكن أنّ تكون قد نشأت دُفعة واحدة ، "

فابن جنّي " ورغم تردّده بين الرأيين " الاصطلاح والتوقيف " فإنّه يؤكّد أنّ اللّغة تتطوّر وتتجدّد ، وهو يُؤمن بأنّ اللّغة الإنسانيّة نشأت لغة واحدة ، ثمّ بدأت اللّغات تتفرّع عنها بعد ذلك ، ومهما يكن فإنّ الرّأي الغالب أنّ اللّغة نشأت تقليداً لأصوات الطّبيعة ، ثمّ اختلفت اللّغات بعد ذلك[1].

لقد أعيا الباحثين التنقيب عن أصل اللّغات وقادهم ذلك إلى الإيمان بمجموعة من النّظريات والاتجاهات ، والّتي سنعرضُ لأهمّها فيما سيأتي آملين بسطها على الوجه الذي أراد لها أصحابها منوّهين بما نراه يقْربُ ممّا يستسيغه العقل ويصلح في نظر اللّغة فمن تلك الاتجاهات :

1) **اللّغة توقيف** : أصحاب هذا الاتجاه ذهبوا إلى أنّ اللّغة إلهامٌ ووحيٌ من الله وتوقيف منه ، مستدلّين في أغلب الأحيان بآية من القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[2] ، وممّن يأخذ بهذا الاتجاه نجد " ابن فارس "

---

[1] – ينظر : عبده الراجحي : فقه اللّغة في الكتب العربية – لبنان – بيروت – د.ط – د.ت – ص 34 – 94.

[2] – سورة البقرة – الآية 31.

حيث قال : " فكان ابن عبّاس يقول : « علّمه الأسماء كلّها... » وهي هذه الأسماء الّتي يتعارفها النّاس من دابّة وأرض وسَهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها "[1].

ولم يقف الخلاف عند هذا الحدّ ، بل أضحى يشمل المقصود بالأسماء كلّها. والضّمير في " عرضهم على الملائكة " أهو يعود على العاقل أم على غير العاقل ؟[2]

وقد روى عن " مجاهد " قال : « علّمه اسم كلّ شيء » ، وقال غيرهما : إنّما علّمه أسماء الملائكة ، وقال آخرون : علّمه أسماء ذرّيته أجمعين.

ورغم أوجه الاختلاف في تأويل الآية ، ظلّ " ابن فارس " من المؤيّدين لتوقيف اللّغة، وهو لذلك تراه يعمد إلى أدلّة منها ما سلف ذكره ، ومنها ما شهدته أيضا العصور الأولى من تاريخ اللّغة والذي ما زال مضرب الشّاهد عند المتأخرين فإنّه يجوز الاستشهاد بها، ويرى الدكتور " محمد آل

---

[1] – ابن فارس : الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة – لبنان – بيروت – دار الكتب – ص 31.

[2] – ينظر : بشير كحيل : مباحث لغوية – ص 09.

ياسين " وهو يسوقُ برهاناً من تاريخ اللّغة أيضاً ، عندما قرّ لديه أنّه لم يحدث أنّ ظهرت لغةٌ قبل لغة هذا العصر يمكن البرهنة من خلالها أنّ اللّغة اصطلاح وتواضع لا وحيٌ وإلهام. قال " ابن فارس " : " لم يبلغنا أنّ قوما من العرب في زمان يقارب زماننا ، أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه فكنّا نستدلّ على اصطلاح قد كان قبله ".

إنّ العودة إلى تاريخ اللّغة للبرهنة على التوقيف ، لا بدّ أن يحاط بالحذر الشديد ، فليس في استطاعة " ابن فارس " وغيره أن ينكر ذلك الرّصيد اللّغوي الضّخم ، والذي دخل العربيّة بُعيد نزول القرآن الكريم إلى عصره ، ولم يكن متداولا بين الجاهليين ، ممّا يدلّ على أنّ كثيراً من تلك الألفاظ قد استحدث بالتواضع ، وخاصة الألفاظ الّتي أعطاها القرآن دلالة جديدة.

وادّعاء " ابن فارس " أنّ التّواضع كان وما يزال سُنّة من سُنن التطوّر اللّغوي في جميع لُغات العالم وليس في العربية فقط ، وإذا صحّ هذا سقطت بعضُ حجج هذا اللّغوي وظهر

للعيان أنّ القول " بالتوقيف " لا يثبتُ على هذا الوجه فإنّ تاريخ اللّغة يشهد على أنّ التّواضع شيء وارد أبداً.

ومن الحُجج الواهية على " توقيف اللّغة " التّبرّم بكل ما هو طارئ وحادث ومبتدع في اللّغة ، الشيء الذي يُثبت — كما يرى — أنّ اللّغة توقيف ومن ثمّ لا يمكن أن نُجدّد فيها أو نبتكر ، يؤيّد ذلك تلك الحادثة الّتي جرت " لأبي الأسود الدؤلي " حيث يقول : " ولقد بلغنا عن أبي الأسود الدؤلي أنّ امرءاً كلّمه ببعض ما أنكره أبو الأسود ، فسأله أبو الأسود عنه ، فقال : " هذه لُغة لم تبلُغْك " ، فقال له : يا ابن أخي إنّه خيرٌ لك فيما لم يبلُغني "[1].

وليس لنا من تفسير لهذا إلاّ صدور هذا العالِم عن روح محافظة متعلّقة بالمدلولات الظاهرية للنصّ القرآني والّتي جعلته يقول " بالتوقيف ".

2) **اللّغة اصطلاح وتواضع** : يأتي " أبو الفتح بن جنّي " وذلك بقوله أنّ أصل اللّغة إلهام ام اصطلاح ؟ حيث يقول : "

---

[1] – ابن فارس : المرجع السابق — ص 33.

إنّ أكثر أهل النّظر على أنّ أصل اللّغة إنّما هو تواضع واصطلاح ، لا وحيٌ ولا توقيف "[1]. حيث يعارض رأي القائلين بالتوقيف ، ويفسّر ذلك حيث يقول لا بدّ بأن يكون لأصل اللّغة من المواضعة إذ كيف أنّ الله علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللّغات. ثمّ ينقل " ابن جنّي " رأي من يقول أنّ أصل اللّغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعة : كدويّ الرّيح ، حنين الرّعد ، وخرير المياه... ثمّ وُلدت اللّغات عن ذلك فيما بعد ، وهو يقول : " وهذا عندي وجهٌ صالح ومذهب متقبّل "[2].

وبالتّالي لا يمنع قول من قال : إنّها تواضع على أنّه قد فُسّر هذا بأنْ قيل : " إنّ الله سبحانه علّم آدم جميع المخلوقات بجميع اللّغات العربيّة ، وغير ذلك من سائر اللّغات ، فكان آدم وولدهُ يتكلّمون بها ، ثمّ إنّ ولدَه تفرّقوا في الدنيا ، وعَلِقَ

---

[1] – ابن جنّي : الخصائص – ج1 – ص 40.

[2] – ينظر : إبراهيم السّامرّائي : فقه اللّغة المقارن – لبنان – بيروت – دار العلم للملايين – 1971 – ط1 – ص 08.

كلّ منهم بلغةٍ من تلك اللّغات ، فغلبت عليه واضمحلّت عنه ما سواها لبُعد عهدهم بها.

فإن قيل : فاللّغة فيها أسماءٌ وأفعالٌ وحروفٌ ، وليس يجوز أن يكون المعلّم من ذلك الأسماء دون غيرها ، ممّا ليس بأسماء ، فكيف خصّ الأسماء وحدها ؟

قيل : اعتمد ذلك من حيثُ كانت الأسماء أقوى القُبل الثلاثة ، ولا بدّ لكلّ كلام مفيد من الاسم ، وقد تستغني الجملة المستقلّة عن كلّ واحد من الحرف والفعل[1].

فإذا كانت اللّغة ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر ، وكونها توقيفية يقتضي ثبوت البناء والدّلالة غير قابلة للتّغيير والانفعال ، شأن كلّ ما هو توقيف منه تعالى.

والواقع خلاف ذلك ، فإنّنا لا ننطقُ إلاّ بما نسمعه من الّذين حولنا ، ونحن لا نتكلّم بالعربيّة إلاّ لأنّنا نشأنا بين قوم يتكلّمونها ، فلو كانت اللّغة توقيفية لاقتضى بقاؤها على ما

---

[1] – ينظر : ابن جنّي : المرجع السابق – ص 40 – 47.

هي ، ولا يُقال إنّ هذه الفروع حدثت توقيفا لأنّها قابلة الرّدّ بالاستقراء تاريخياً إلى أوّل أزمنة نشوئها ، أو بالأحرى تفرّعها.

" جملة القول إنّ اللّغة مكتسبة اصطلاحيّة والقضيّة واضحة جليّة "[1].

3- تركيب اللّغة :

اتّفق علماء اللّغة جميعاً على أنّ للّغة تركيباً ، رغم أنّ هذا ما زال يخلق قدراً كبيراً من وجهات النّظر المتباينة بينهم ، حيثُ أنّ هناك عدداً من ملامح هذا التّركيب لا يختلف النّاس حولها. ولمناقشة هذه الملامح وجّبَ علينا النّظر إلى اللّغة على اعتبار أنّها شيء مصنوع، من الممكن كسره وتفتيته إلى عناصر مختلفة ، والّتي ستبدو مترابطة معاً بشكل واضح مهما

[1] – ينظر : رياض قاسم : اتجاهات البحث اللّغوي الحديث في العالم العربي – لبنان – مؤسسة نوفل – 1900 – ط1 – ص 318.

استعملنا اللّغة في حياتنا الواقعية ، عندئذ سنراها ظاهرة بالغة التّعقيد ، مستحيلة التّحليل[1].

ومن أهمّ مميّزات اللّغة الإنسانية فإنّه من الثابت المرجّح أنّ الألفاظ والمعاني لا تمثّل إلاّ إحدى تلك المميّزات ، وإنّ الأهمّ هو الإشارة إلى الوظيفة الّتي تؤدّيها بين أفراد المجتمع والّتي من أجلها اعترف لها بأنّها حدث اجتماعي ، فلا شيء في الحياة يؤكّد خصائص المجتمع ويبرزها على وجهها كاللّغة المرنة والمطواع ، الّتي تُعبّر بألفاظها الدّقيقة الموحية عن حاجات البشر مهما تشعّب ، وكونها كذلك لم يكن لزاما أن نتناسى الأغراض المختلفة الّتي من أجلها ظلّت اللّغة أليق معبّر عنها لدى البشريّة في مختلف الأحوال والظّروف.

ولكي نخرج بمفهوم واضح عن اللّغة لا بدّ أن نقطّعها إلى أجزاء ، ونفحص كلّ جزء على حدة ، ولكن يجب ألاّ ننسى أبدا أنّ هذه الأجزاء ما هي إلاّ أبنية لُغوية ، وإنّما نقوم

---

[1] – ينظر : دافيد كريستل : التعريف بعلم اللّغة – ص 97.

به ما هو إلاّ محاولة لبناء نموذج أو صورة لكي نستطيع تفسيرها أو إلقاء الضّوء عليها.

4- منهج البحث في اللّغة :

تقوم طريقة البحث في اللّغة في هذا العصر على الأسس التّالية :

1) الاستقراء. 2) المقارنة : فلا شكّ أنّ استقراء الشواهد والأمثلة من لغاتٍ مختلفة يفسح المجال للموازنة بين هذه اللّغات ومعرفة ما بينها من تشابه أو اختلاف.

3) اعتبار التطوّر في اللّغة : إنّ اللّغة كسائر الظواهر الاجتماعية يطرأ عليها التبدّل والتغيير ، ولهذا وجبت مراعاة فكرة التطوّر في سائر الأبحاث اللّغوية ، وهذا ما يفعله الباحثون في علم اللّغة في هذا العصر[1].

---

[1] – ينظر : محمد مبارك : فقه اللّغة وخصائص العربيّة – لبنان – بيروت – دار الفكر – 1972 – ط5 – ص 31.

إنّ التطوّر في اللّغة شأنه في ذلك كشأنه في سائر مجالات الحياة لا يتّجه دوماً نحو الأحسن ، ولا يكون دائما بمعنى التقدّم والارتقاء ، فقد يكون تردّياً وانتكاساً.

إنّ معرفة اللّغة معرفة عميقة وتفهّمها لا يكون بمعرفة جزئياتها ومفرداتها ولا بقواعدها المحدودة ، وإنّما يكون بالغوص إلى أعماقها ومعرفة قوانينها وسنن تطوّرها ، لذلك لا بدّ لنا أن نتساءل عمّا إذا كان للّغة بوجه عام قوانين تنطبق على جميع اللّغات ، ولكن الواقع أنّنا لا نزال بعيدين في أبحاثنا اللّغوية عن بلوغ المرحلة الّتي نرى فيها عدداً من القوانين الّتي تنطبق على اللّغات عموماً. لذلك فإنّ البحث في أطوار اللّغة ، لا يفيد الحكم دوما بالحسن على الطّور المتأخر في الزّمن وبالقبح على المتقدّم.

إنّ استمرار الأمّة والحفاظ على خصائصها يبدو إلى حدّ كبير في لغتها ، ويظهر في تعبيرها، لأنّ اللّغة مرآة أحوال الأمّة وصور تمدّنها ، ورسم مجتمعها ، وتمثال أخلاقها وملكاتها فمن المحال أنّ لغة قوم ، مهما بلغت من الكمال ، وتناهت في الاتّساع ، تصل إلى حدٍّ تصلح فيه لأن تستعمل في كلّ عصر

، لأنّ ذلك الكمال إنّما يكون بالقياس إلى زمن مخصوص ومبلغ من الحضارة لا يتعدّاه، ولكن حقيقة الكمال في اللّغة أن تكون بحيث يمكن أن يستنبط من نفس أوضاعها ألفاظ لم يحدث من المعاني ، لا أن تكون بحيث تستغني عن المزيد.

وهناك حقيقة مهمّة في الفكر العربي ، وهي أنّ العلماء العرب كانوا ينظرون إلى اللّغة العربيّة على أنّها أفضل اللّغات جميعاً وهي حقيقة يمكن تقبّلها من خلال نشأة اللّغة.

5- الجديد في اللّغة :

إذا قُلت للقارئ الكريم : إنّ اللّغة مادة تُظهر المجتمع الإنساني على حقيقته ، وهي وثيقة الصّلة بالإنسان وبيئته ، وهي مقوّم من مقوّمات حياتنا وكياننا وهي الحاملة لثقافتنا ، ورسالتنا والرّابط الموحد بيننا والمكوّن لبنية تفكيرنا والصّلة بين أجيالنا ، والصّلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم. تلك هي الأسباب الّتي تجعلنا نعنى باللّغة عناية كبرى ونحلّها في الصّميم من قضايانا النّحوية. فما أتينا بجديد ذلك أنّ هذا الموضوع قد بحثه ذو الاختصاص من العلماء في عصورنا الحديثة فكتبوا فيه.

فاللّغة لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة ، وإنّما هي أساس كلّ أنواع النّشاط الثقافي ، وهي بذلك خيرُ دليل يهتدي به الباحث إلى معالم أي من المجتمعات الحديثة.

إنّ الأمّة العربيّة أخذت في النّهوض في جميع الميادين بعد كبوة ، واستيقظت بعد إغفاءة ، وطفقت تتحرّر من قيود كُبّلت بها فزانت على عقولها ونفوسها ، واتجهت اليوم وهي في أواخر مرحلة التحرّر نحو البناء ، ولقيت في طريق نهضتها وتحرّرها مشكلات في جميع نواحي حياتها[1].

اللّغة عبارة عن نظام صوتي للاتّصال الإنساني ، ومع ذلك فليس كلّ ما يندرج تحت هذا من اللّغة ، فهناك أصوات كثيرة مثل : العطس أو الشخير ، كلّ ذلك لا يقوم بتوصيل أدنى رسالة ، وما نتفوّه به لا يدخل في إطار اللّغة لأنّنا لا نتعمّد إصدارها لغرض استغلالها. أمّا الكلمات فعلى العكس من ذلك لأنّها ليست مرتبطة بحالة أجسامنا فقد نتكلّم أو لا نتكلّم.

---

[1] – ينظر : المرجع نفسه – ص 34.

والجديد من ظروفها ملاءمة لا تتمّ دوماً كما يجب أن تتمّ ، فتقع بين إفراط وتفريط، وغلوّ وتقصير ، ومحافظة متزمتة وانطلاق فوضوي وتقيّمُ العوج وتسدّد الاتجاه نحو الهدف الأمثل والنّهج الأقوم ، وذلك كلّما تمّ الوعي الذاتي وتكامل واستنار.

إنّ ما حدث في سائر ميادين الحياة حدث مثله في ميدان اللّغة ، فقد سارت النّهضة اللّغوية في خطوط متوازية ومراحل متشابهة وصادفت في طريقا كذلك المشكلات نفسها.

ونستطيع أن نتبيّن هذا في لغتنا العربيّة ، وذلك أنّنا نفيد من هذه العربيّة شيئا كثيراً ممّا يتميّز به المجتمع العربي في حقبة من أحقابه. فاللّغة العربيّة هي الّتي حملت رسالة الإسلام فعنيتْ بألفاظ كثيرة جديدة للتّعبير عن المفاهيم والأفكار والنّظم وقواعد السّلوك الّتي جاء بها الإسلام ، حيث تمتاز اللّغة العربيّة بدقّة تعبيرها والقدرة على تمييز الأنواع المتباينة ،

والأفراد المتفاوتة والأحوال المختلفة سواء في ذلك الأمور الحسيّة والمعنويّة[1].

ومن مظاهر التطور اللّغوي الأمور التالية :

1) تأثّر الأدباء والكتّاب بأساليب اللّغات الأجنبية ، الذي له الأثر البليغ في نهضة لغة الكتابة وتهذيبها ، فأكبر قسط من الفضل في نهضة اللّغة العربيّة انتفاع الأدباء والعلماء باللّغتين الفارسيّة والإغريقيّة ، وذلك بترجمة آثارهما بالشّرح والتّعليق واستغلالهما في بحوثهما ومحاكاة أساليبهما ، ولولا آلاف المفردات الّتي اقتبسها المحدثون من الأدباء ما قويت لغة الكتابة وأن تصل إلى الشأن الذي هي عليه الآن.

2) إحياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المهجورة ، وهي التّعبير عن معانٍ لا توجد في المفردات المستعملة ما يعبّر عنها تعبيراً دقيقاً ، و لمجرّد الرّغبة في استخدام كلمات غريبة أو الترفّع عن المفردات الّتي لاكتها الألسنة كثيراً.

---

[1] – ينظر : إبراهيم السامرائي : فقه اللّغة المقارن – ص 159.

3) خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة ، وذلك بالتعبير عن أمور مستحدثة في الحياة الاجتماعية والفكرية ، والهدف هو الرّغبة في الابتداع أو مجانبة الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو إبراز المعنى في صورة رائعة وتثبيته في الأذهان وتذليل سُبل انتشاره بالأغراب في تسميته. وقد كثر التجاء الأدباء والعلماء إليها بنوع خاص في تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية والمصطلحات العلميّة والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية[1].

اللّغة من صنع النّاس أنفسهم يضعون مقاييسها فتجري عليها ألسنتهم ، ثمّ إنّ المقاييس ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التبديل والتغيير ، ذلك أنّ المجتمع الإنساني متغيّر متطوّر أبداً.

ومن أجل هذا فكُتُب اللّغة والمعجمات المطوّلات يجب أن تكون سجلاًّ للاستعمالات اللّغوية. وإذا أريد منها أن

---

[1] – ينظر : علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة – مصر – القاهرة – دار النّهضة – 1967 – ط7 – ص 255.

تتحكّم في الاستعمال لم تصبح وصفا للاستعمال الفعلي للّغة ، وإنّما أصبحت معايير يُقاس بها " خيرُ استعمالات الكلمات ".

وما دُمنا آخذين بهذه النّظرة الواسعة ، وما دمنا كذلك نُعطي الاستعمال قيمته ومكانته في اللّغة فلا بدّ أنّ نقيّد الجديد في اللّغة بعصره وظرفه غير مبالغين بكونه خارجاً عمّا ألف النّاس من الفصيح المشهور[1].

فباللّغة صار الإنسان إنساناً ، وباللّغة فقط تطوّرت الحضارات وتقدّم العمران وبلغ الإنسانيّ ذروته.

1- تعريف الكلام :

لغـــة :

من ذلك الأصل الأوّل : ك ل م " منه الكَلْم للجُرح ، ولك للشدّة الّتي فيه ، وقالوا في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[2] قولين : أحدهما من الكلام ، والآخر من الكِلام : أي تجرحهم وتأكلهم ، وقالوا : الكُلام :

---

[1] – لنظر : المرجع السابق – ص 62.

[2] – سورة النمل – الآية 82.

(أ) : اللّسان (ب) : البطن (ج) : الفرج.

ما غَلُظ من الأرض ، وذلك لشدّته وقوّته ، وقالوا رجل كليم : أي مجروح وجريح.

ومنه الكَلاَمُ : وذلك أنّه سبب لكلّ شرّ [وشدّة] في أكثر الأمر ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : « من كُفي مئونة لقلقه(أ) وقَبْقَبِه(ب) وذبذبه(ج) دخل الجنّة ». ومنه قول "أبي بكر" ﷺ في لسانه : « هذا أوردني الموارد » وقال : « وجرح اللّسان كجرح اليد »[1].

* والكلمة : اللفظة ، والقصيدة (ج) : كَلِم ، كالكِلْمَةِ بالكسر (ج) : كَكِسَرٍ.

* والكَلْمَة بالفتح (ج بالتّاء) ، وكلّمَهُ تكليماً وكِلاَماً، ككذّاب. وتكلّم تكلّماً وتكلاّماً : تحدث ، وتكالما : تحدثا بعد تهاجر.

* والكلمةُ الباقية : كلمة التوحيد. وعيسى " كلمة " الله ، لأنّه انتُفع به وبكلامه ، أو لأنّه كان بكلمة " كنْ " من غير " أبٍ "[2].

---

[1] – ابن جنّي : الخصائص – ج1 – ص 14.

[2] – ينظر : فيروز أبادي : القاموس المحيط – ج2 – ص 1520.

* الكلام في أصل اللّغة : الأصوات المفيدة ، والكلامُ عند المتكلّمين : المعنى القائم بالنّفس الذي يعبّر عنه بألفاظ يُقال : في نفسي كلامٌ.

* والكلام في اصطلاح النّحاة : الجملة المركّبة المفيدة نحو : جاء الشتاء أو شبّهها ممّا يكتفي بنفسه نحو ما لي : يا عليُّ[1].

* والكلام عند اللغويين يحمل معاني كثيرة منها :

- قال " بن سيدة " : الكلاَم : القولُ ، معروف ، وقيل : الكلاَم ما كان مكتفيا بنفسه وهو الجملة ، والقولُ ما لم يكن مكتفيا بنفسه وهو الجزء من الجملة ؛

- قال " سيبويه " : " اعلم إن قلت إنّما وقعت في الكلام على أن يحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً. ومن أدلّ الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقولوا ، القرآن كلام الله ، ولا يقول القرآن قول الله ، وذلك أنّ هذا موضع ضيّق متحجّر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شيء

---

[1] - ينظر : المعجم الوسيط - ج2 - ص 796.

من حروفه ، فعبّر لذلك عنه " بالكلام " الذي لا يكون إلاّ أصواتا تامة مفيدة[1].

- قال " الجوهري : الكلام : اسم جنس يقع على القليل والكثير ، والكَلِمُ لا يكون أقلّ من ثلاث كلمات لأنّه جمع كلمة مثل : " نبق ، نبغ ".

- ولهذا قال سيبويه : " هذا باب علم ما الكلم من العربيّة ، ولم يقل ما " الكلام " لأنّه أراد ثلاثة أشياء : الاسم والفعل والحرف "[2].

فجاء بما لا يكون إلاّ جمعا وترك ما يمكن أن يقع الواحد والجامعة ، و" تميم " تقول: هي " كِلمة " بكسر الكاف ، وحكى " الفراء " فيها ثلاث لغات : كلمة وكِلمة : "رورق، وورق ، وقد يستعمل الكلام في غير الإنسان قال :

---

[1] - ينظر : ابن منظور : لسان العرب – مادة (ك ل م) المجلد 12 ، ص 523.

[2] - الصّحاح : تاج اللّغة وصحاح العربيّة – تحقيق : احمد عبد الغفور عطار – مادة (ك ل م) – ج5 – ص 2023.

فصبّحت ، والطّير لم تكلّم ۞ جابيةً

حفّت بسيل مُفعَم.

وكأن الكلام في هذا الاتساع إنّما هو محمول على القول ، ألا ترى إلى قلّة "الكلام" هنا وكثرة القول[1].

ومن دلالته على الخط والرموز الكتابية كقول العرب : " القلم أحد اللّسانين ". ودلالته على ما يتكوّن في العقل قبل أن ينطق به اللّسان أو يجري به القلم ، ومن ذلك قول "الأخطل" :

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما ۞ جعل اللّسان على

الفؤاد دليلا

ودلالته على الرّمز كما في قوله تعالى حكاية عن زكرياء -عليه السلام-: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾[2].

---

[1] - ينظر : المرجع السابق – ص 523.

[2] - سورة آل عمران – الآية 41.

اصطلاحا :

الكلام عند النحويين : هو " اللّفظ المركب المفيد بالوضع العربي فائدة يحسن السكوت عليها ".

1) اللفظ : هو الصوت المشتمل على بعض الحروف الهجائية تحقيقا مثل : محمّد ، أو تقديرا: كالضمائر المستترة.

ومعنى " اللفظ " : الطرح والرّمي. يقال : لفظتُ كذا بمعنى : رميتُه ، وخرج باللّفظ : الإشارة والكتابة ، والعقد بنحو الأصابع الدّالة على أعداد مخصوصة ، والنّصب ، أي العلامات المنصوبة كالمحراب وغيرها ؛ فإنّها ليست بكلام عند النّحويّين.

2) المفيد : ما أفاد فائدة تامّة يحسن سكوت كلّ من المتكلّم والسّامع عليها نحو : الدين معاملة ، وغير المفيد مثل : إن حَضَرَ سُرُور.

3) بالوضع : أي بالقصد ، وهو أن يقصد المتكلّم بما يلفظ به ممّا وضعته العرب إفادة السّامع، فهذه قيود أربعة متى وُجدت

وُجد الكلام النّحوي ، وحيث انتفت كلّها أو انتفى واحدا منها ، انتفى الكلام النّحوي[1].

قال " ابن مالك " :

كلامُنا لفظٌ مفيد : كاستقم

واسم وفعل ثمّ حرف

الكلم

– وقد وافق " ابن هشام " ما جاء في " المفصّل " من تعريف للكلام إذ يقول : " الكلامُ هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما للأخرى وذلك لا يتأتى إلاّ في اسمين أو فعل أو اسم وتسمّى جملة ".

– " بن حاجب " في كافيته يقول : " الكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد ولا يتأتّى ذلك إلاّ في اسمين أو فعل أو اسم ".

---

[1] – ينظر : أحمد الهاشمي : القواعد الأساسية للّغة العربيّة حسب منهج " ألفية بن مالك " – الجزائر – دار الرجاء – ص 09.

– وذهب جماعة إلى أنّ شرط الكلام الإفادة وهو اختيار " الجزولي " و" ابن مالك " و" بن معط " و" الحريري " وغيرهم[1].

– والكلامُ عند " ابن هاشم " له معنيين ؛ لغوي واصطلاحي :

أ– اللّغوي : يدلّ على الحدث الذي هو التكليم وعلى المعنى القائم في النّفس لم يلفظ به. وعلى ما تحصل به الفائدة من لفظ أو حظّ أو إشارة.

ب– الاصطلاحي : عنده هو اللّفظ المفيد أو القول المفيد بالقصد والقول عنده : اللّفظ الدّال على معنى وهو يعني باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف أفاد أم لم يفد ، والمفيد عنده ما يصحّ الاكتفاء به أو يحسن السكون عليه.

والكتابة لا تدخل عنده في الكلام الاصطلاحي فكأنّ الكلام عنده هو اللّغة المنطوقة[2].

---

[1] – ينظر : منة ابن مالك : مصطلحات الدراسة الصوتية – ص 164.

[2] – ينظر : محمود احمد نحلة : صور تأليف الكلام عند ابن هاشم – الجزائر – بن عكنون – دار المعرفة – 1994م – ص 25.

أمّا مصطلح " الكلام " بمفهوم فلسفي : " فهو وسيلة لبلوغ الفرد غايته من الجماعة". ولهذا السّبب اعتبر : أخوان الصفا " أنّه : " ما من أحد وإلاّ وهو إذا عبّر عمّا في نفسه ، بلغ غرضه في إفهام السّامع عنه ما يريده على حسب استطاعته وما تساعده عليه آلاته "[1].

أمّا الكلام فهو كلّ لفظ مستقلّ بنفسه ، مفيدة لمعناه وهو الذي يسمّيه النحويون الجُمل نحو : زيد أخوك ، وقام محمد ، وضرب سعيد ، وفي الدّار أبوك ، وصَهْ ، ومَهْ ، ورويد ، وحاء وعاء في الأصوات ، وأُفٍّ وأوّاه ، فكل لفظ استقلّ بنفسه ، وجنيت منه ثمرة معناه فهو الكلام[2].

2- تركيب الكلام :

الكلام هو ضمّ كلمة إلى أخرى بحيث ينعقد بينها الإسناد المستقل ، وهو الذي يفيد أنّ مفهوم إحداهما ثابت

---

[1] – ينظر : إخوان الصفا : الرسائل – الجزائر – 1992 ج3 ، ص 65.

[2] – ينظر ، ابن جنّي – الخصائص – ج1 – ص. 17.

لمفهوم الأخرى أو منفيّ عنها ، نحو العلم نافع – وما الجهل نافعا[1].

يقول " ابن هشام " (761هـ) : وصور تأليف الكلام ستّ : وذلك لأنّه يتألّف إمّا من " اسمين " أو من " فعل واسم " أو من " جملتين " أو من " فعل واسمين " أو من " فعل وثلاثة أسماء " أو " من فعل وأربعة أسماء "[2].

ويتركّب الكلام من :

1) اسمين حقيقة نحو : الدين معاملة.

2) أو اسمين حكما نحو : الصّدق منج

3) أو من ثلاثة أسماء نحو : العدل أساس الملك.

4) أو من فعل واسم نحو : ظهر الحق – ومنه نحو " استقم " فإنّه مركب من فعل الأمر المنطوق به ، ومن ضمير المخاطب المقدّر بـ " أنت " ، ومنه أيضا نحو : " يا جميل " فإنّه كلام على تقدير الفعل المحذوف الذي هو " أنادي " النّائب عن حرف النّداء.

---

[1] – ينظر : أحمد الهاشمي : القواعد الأساسية للّغة العربيّة – ص 09.

[2] – ينظر : ابن هشام : صور تأليف الكلام – ص 11.

5) أو من فعل واسمين نحو : كان الله غفوراً.

6) أو من فعل وثلاثة أسماء نحو : عَلِمْتُ الله واحداً

7) أو من فعل وأربعة أسماء نحو : أريتُ جميلاً البدرَ طالعاً.

8) أو من اسم وجملة نحو : الحقّ يعلو ، الظّلم آخره ندم.

9) أو من جملتين نحو : إن تُرد السّلامة ، فاسلك سبيل الاستقامة.

ولا يمكن أن يأتي كلام مفيد من الأحرف وحدها ولا من الأخرى والأفعال فقط[1].

- ذكر " أبو عليّ الفارسي " (ت 377 هـ) قبل " ابن هشام " النّماذج التركيبية الآيتين مع ملاحظة أنّنا نعبّر عن علاقة الائتلاف بالرمز (+) :

1) اسم + اسم 2) فعل + اسم 3) حرف + اسم

[1] - ينظر : المرجع السابق – ص 10.

عمرو أخوك كتب عبد الله يا زيد

بشر صاحبك سرّ بكر يا عبد الله

وثمّة نموذج رابع أشار إليه لكنّه رآه داخلاً في أحد النموذجين الأوّل أو الثاني وهو :

4) اسم + جر ومجرور (ظرف) [1].

زيد في الدار

القتال اليومَ

ويفرّق " ابن هشام " بين " الكلام والجملة " فيقول : الكلام ه والقول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكون عليه ، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله : كقام زيدٌ ، والمبتدأ أو خبره : كزيد قائم ، وما كان بمنزلة أحدهما.

[1] – ينظر : ابن هشام : صور تأليف الكلام – ص 12.

فالجملة عنده إذن أعمّ من الكلام ، لأنّها تفيد فائدة مستقلّة ، وقد لا تفيد ، أمّا الكلام فمفيد أبداً. ومعنى ذلك أنّ الجملة تكون كلاماً إذا كانت مفيدة ، فالجملة المفيدة مرادفة للكلام عنده ، وعلى ذلك فالكلام في قوله " صور تأليف الكلام " مرادف للجمل المفيدة[1].

فإذا كان الكلام عند " ابن هشام " ينتمي إلى الاستعمال ، فإنّ صور التّأليف عنده تنتمي إلى النّظام اللّغوي ، على أنّ الرّجل لم يضع مصطلحا للصّور الأساسية ، ولا مصطلحا خاصّا لما يندرج تحتها من صور فرعية ، إذ هي كلّها في النّهاية — صور من صور التأليف للكلام —.

3- آراء النحاة القدماء في تقسيم الكلام :

يجمع النحاة القدماء على أنّ الكلِم في العربيّة ينقسم إلى : اسم فعل – فعل – حرف. ونجد منهم ابن جنّي والمبرّد وابن السراج

---

[1] – ينظر : المرجع نفسه — ص 25.

1) أمّا ابن جنّي : يقول " أبو الفتح عثمان ابن جنّي " – رحمه الله (ت 392 هـ) – : "الكلام كلّه ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف".

فالاسم ما كان عبارة عن شخص ، نحو قولك : هذا رجل ، أو ما ارتبط به حرف جرّ ، نحو من زيد.

أمّا *الفعل* : ما حسن فيه " قد " نحو قولك : قد قعد ، وقد يقعد ، أو كان أمرا نحو قولك : قم اقعد.

والحرف : ما لم تحسن في علامات الاسم ولا علامات الأفعال، فلا نقول: من هل ولا قد بل[1].

2) المبرّد : ذكر المبرّد أنّ الكلام كلّه اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى. فالاسم ما كان واقعا على معنى نحو : رجلٌ ، فرسُ ، زيد ، وإنّ أشهر علامة يتميّز بها الاسم هي دخول حرف الجرّ عليه ، كما نقل أنّ الاسم ما صَلُحَ أن يكون فاعلاً ، أي يؤدّي وظيفة الفاعلية.

---

[1] – ينظر : ابن جنّي : اللمع في العربيّة – تحقيق : حامد المؤمن – لبنان – بيروت – مكتبة النهضة – 1985 – ط2 – ص 45.

3) ابن السرّاج : يقول إنّ الكلام يتألّف من ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف. فالاسم : ما دلّ على معنى مفرد وذلك المعنى يكون شخصا أو غير شخص ، مراعيا في ذلك المعنى الوظيفي في التقسيم وهو دلالة الاسم على معنى مجرّد عن الزمن ، ولم يراع في حدّه الجانب الشكلي وهو جانب المبنى ، وأنّ للاسم ما جاز أن يخبر عنه نحو قولك : قام بكرٌ.

أمّا الفعل : ما كان خبراً ولا يجوز أنّ يخبر عنه نحو قولك : أخوك يقوم وقام أخوك ، ولا يجوز أن تقول : ذهب يقوم ولا يقوم يجلس[1].

نرى أنّ " ابن جنّي " و" المبرّد " و" ابن السّراج " يتفقون على أنّ الاسم يجب أن يدلّ على معنى.

" فابن جنّي " و" ابن السّراج " يذهبون إلى القول بأنّ المعنى الذي يجب أن يدلّ عليه الاسم يجب أنّ يكون عبارة عن شخص مرتبط بحرف جرّ ، أو مجرّد عن الزمن يقوم بوظيفة الفاعلية.

---

[1] – ينظر : فاضل مصطفى الساقي : أقسام الكلام العربي – تقديم : تمام حسان – مصر – القاهرة – 1977 – ص 34.

ونجد أنّ المبرّد يؤيّد هذين الأخيرين ، ولم يخرج عمّا قالاهما. هذا بالنسبة إلى الاسم ، أمّا " الفعل " " فابن جنّي " يشترط ارتباط الفعل بحرف وان يكون هذا الفعل في صيغة الأمر، بينما " ابن السّراج " ذهب إلى أنّ الفعل لا يجوز أن يخبر عنه و" المبرّد " لم يُشر إلى الفعل في كلامه.

ثمّ يعود " ابن جنّي " ويذكر " الحرف " ويشترط أن لا يحوي على علامات الاسم والفعل وأن لا يكون الحرفان جنبا إلى جنب فلا يؤدّيان المعنى.

ويمكن أنّ نقول أنّ النّحاة القدماء كان تركيزهم على الاسم أكثر من الفعل والحرف، واتّفقوا على أن يدلّ هذا الاسم على معنى شخص.

4- آراء النحاة المحدثين في تقسيم الكلام :

1) **إبراهيم أنيس** : يذكر أنّ القدماء اتّبعوا في تقسيم الكلام إلى : اسم فعل وحرف ، تقسيم فلاسفة اليونان وأهل المنطق إلى : اسم وكلمة وأداة.

فالاسم عندهم ما دلّ على معنى وليس الزمن جزءاً
نه ، فلمّا وجدوا أنّ هناك أسماء فيها دلالة على الزمن مثل :
ليوم والليلة أخذوا يفسّرون تعريفهم مع فهمهم للاسم.

والفعل يفيد معنى وتدلّ صيغته على أزمنة الماضي —
لحال — الاستقبال.

أمّا الحروف فهم يكادون يجرّدونها من المعاني
ينسبون معناها لغيرها من الأسماء والأفعال ، فلمّا عثروا على
واهد مثل : " قطري بن الفجاءة " ، حيث يقول :

فلقد أراني للرماح ردينة ۞ من عن يميني تارة وأمامي

وفيه (عن) بمعنى (ناحية) ، حيث رأى القدماء ،
نّ الحروف تستعمل في بعض الأحيان بمعنى الأسماء[1].

فمن خلال دراسة " أنيس " لتقسيم القدماء للكلم
لاحظ أنّه يركّز على الأمور التالية :

إنّ تقسيم النحاة جرى على منهج فلاسفة اليونان والمناطقة
هذا معناه أنّهم أخضعوا اللّغة لأحكام الفلسفة والمنطق.

---

1 – ينظر : فاضل مصطفى الساقي : المرجع نفسه – ص 125.

- أيضا هو يرى أنّ النحاة لم يُعطوا مفهوما محدّدا وواضحا للاسم والفعل والحرف.

ومن خلال نقده لهؤلاء النحاة نجده يقدّم بعض الأسس الّتي رآها صالحة للتفريق بين أقسام الكلام وهي المعنى والصيغة ووظيفة اللفظ في الكلام. ومن هنا يمكن القول أنّ الأستاذ " أنيس " لم يتعرّض للكثير من الكلمات المتداولة في اللّغة ، وبالتالي لم يتمكّن من معرفة رأيه فيها وهذا ما يحملنا للاعتقاد بأنّه يرتضي بأي النحاة القدماء.

2) **إبراهيم السّامرّائي** : نجد أنّ " السّامرائي " يختلف عن " إبراهيم أنيس " في تقسيمه للكلم في بعض الجوانب ،فهو يرى أنّ " باب الاسم ، يضمّ الضمائر والإشارات والموصولات والعَلَم والمعرفة والنّكرة أيضاً. وقد درس الفعل وما يدلّ عليه من وظائف زمنية وصرفية وسياقية في الظروف القولية المختلفة.

وهذا إدراك عميق لقدرة الفعل على التعبير عن دقائق الزمن. غير أنّ الاضطراب الذي وقع فيه القدماء في تقسيمهم

للكلم ، قد أثّر في بعض ما جاء به " السّامرائي " من خلال رأيه في تقسيم الكلم.

3) **تّمام حسّان** : قام " تّمام حسّان " من خلال دراسته في تقسيم الكلم إلى وضع حلول رأى أنّها يمكن أن تحلّ بعضا من الاضطرابات الذي وقع فيه هؤلاء النحاة القدماء من خلال دراستنا لهذه الحلول نجده يركز على :

- أنّ الكلمات العربيّة يمكن أنّ ينقد تقسيمها القديم ، وهذا النقد يمكن أن ينبني على أسس تستخدم في تقسيم الكلمات تقسيما جديداً ، وهذه الأسس تتمثّل في الشكل الإملائي ، التوزيع الجغرافي والأسس السياقية ومعنى الوظيفة ، والوظيفة الاجتماعية ، فهو يرى أنّ هذه الأسس يمكن أن تكون صالحة من حيث كونها منطلقا لتقسيم الكلمات في اللّغة العربيّة ، فتقسيمه للكلام يختلف عن النحاة الذين سبقوه فهو يقسّمه إلى : الاسم – الصفة – الفعل – الضمير – الظرف – الأداة.

وقد اهتمّ الأستاذ " تّمام " بمسألة تقسيم الكلم اهتماماً كبيرا ويظهر ذلك جليا من خلال دراساته وآثاره اللغوية الّتي ركّز

فيها على البحث في هذه القضايا[1]. فحسب رأينا أنه اعتمد في تقسيمه هذا على فهمه لطوائف الكلمات ودلالاتها ودراسته لها مبنى ومعنى بشكل يجعلنا نرى أنه كان مقتنعاً بتقسيمه الذي جاء به للكلام خاصة من خلال نقده للنحاة القدماء بأنهم لم يدرسوا (الاسم والفعل والأداة) دراسة كاملة بل كانت دراستهم خارجة عن الدراسة اللّغوية والنّحوية.

ومن خلال دراستنا لآراء المحدثين والقدماء نرى أنّ :

- " إبراهيم السامرائي " لم يخرج عمّا جاء به القدماء من تقسيمهم للكلام إلى اسم وفعل وحرف ، إلاّ أنّه جعل المعنى والصيغة ووظيفة اللّفظ والكلام أسسا للتفريق في هذا التقسيم.

ونجد أيضا " إبراهيم السامرائي " اتّبع نفس التقسيم الذي سار عليه القدماء ، غير أنّه اختلف عنهم في وضعه بابا للاسم يضمّ الضمائر والإشارات والموصولات والعَلَم والمعرفة

---

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 136.

والنكرة ، ودرس الفعل من حيث الوظائف الزمنية والصرفية والسياقية ، ونجد أنّ هذا المنهج قد سارت عليه الدراسات اللغوية الحديثة أيضاً.

- ويذهب " تمّام حسّان " إلى وضع حلول للحدّ من هذا الاضطراب الذي وقع فيه القدماء وانتقده المحدثون فيذكر أنّ هذا التقسيم كان يحتاج فقط إلى بعض الأسس لتكون منطلقا لتقسيم الكلمات في اللّغة العربيّة وتوضيح حقيقتها.

وجملة القول أنّ النحاة قديما وحديثا قد اتّفقوا في تقسيم الكلم إلى ثلاثة عناصر وهي: الاسم والفعل والأداة (الحرف) إلاّ في بعض الفوارق الّتي برزت في رأي كلّ منهم.

الفرق بين اللّغة و الكلام :

يعتبر " دي سوسير " أوّل من يفرّق بين اللّغة والكلام ، حيث وضع لكلّ منها كلمة مستقلّة تدلّ على إطار هذا العلم وكلّ ما يمكن أنّ يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي أو كتابي أو إشارة أو اصطلاح ، فخصّ هذا النشاط بكلمة " Langage " أي "اللّغة"، ثمّ ينظر إلى اللّغة المعيّنة بطريقتين ، فإمّا أنّ تكون في صورة منظمة ذات

قواعد ، وذات وجود اجتماعي فيطلق عليها " Langue " ويقابلها في العربيّة " اللّسان " ، وإمّا أنّ تكون في صورة ممارسة فردية منطوقة ، على أي مستوى ، ويطلق عليها : " Parole " وهو بالعربيّة " الكلام "[1].

إلاّ أنّ قديما ، كانت كلمة " لغة " يعبّرون عمّا توحي به عندنا في عبارة حديثة وهي " لسان " تلك الكلمة المشتركة اللّفظ والمعنى في معظم اللّغات السّامية ، شقيقات اللّغة العربيّة. والقرآن نفسه لم يستعمل هذه اللّفظة قطّ بالمعنى المعروف المتداول عندنا الآن ، وإذ كان قد استعمل مادة (ل غ و) تارة بمعنى " السّاقط من الكلام الذي لا طائل تحته ". كما شهد بذلك الآية : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[2] والمعنى : " لا تسمعوا له إذا قرئ وعارضوه بكلام لا يفهم " ، وتارة بمعنى " القول

---

[1] – ينظر : آمنة بن مالك : مصطلحات الدراسة الصوتية – ص 170.

[2] – سورة فصلت – الآية 26.

الباطل " شاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1].

أمّا الرسول ﷺ فقد استعملها في معنى " لا يحتاج إليه من الكلام " ، يشهد على ذلك قوله : « إذا قلت لصاحبك أنصتْ ، والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت ». واستعملت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى نفسه أيضا ، أي بمعنى " ما لا خير فيه من الكلام " فقد قال " عبد الله بن رؤبة السعدي التميمي " :

ورُبّ أسراب حجيج كظم ۞ عن اللّغـــا ورفث التكلّم.

وللسيوطي كلام وجيز يفرّق بين اللّغة والكلام ، حيث يقول : « فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأنّ كل من أفهم كلامه على شرط لغته فقد بيّن ، قيل له : إن كنت تريد أنّ المتكلّم بغير العربيّة قد يُعرب عن نفسه حتّى يفهم السّامع مراده ن فهذا أخسّ مراتب البيان لأنّ

---

[1] – سورة المؤمنون – الآية 3.

الباطل " شاهد على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1].

أمّا الرسول ﷺ فقد استعملها في معنى " لا يحتاج إليه من الكلام " ، يشهد على ذلك قوله : « إذا قلت لصاحبك أنصتْ ، والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت ». واستعملت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى نفسه أيضا ، أي بمعنى " ما لا خير فيه من الكلام " فقد قال " عبد الله بن رؤبة السعدي التميمي " :

ورُبّ أسراب حجيج كضم ۞ عن اللّغـــا ورفث التكلّم.

وللسيوطي كلام وجيز يفرّق بين اللّغة والكلام ، حيث يقول : « فإن قال قائل : فقد يقع البيان بغير اللسان العربي ، لأنّ كل من أفهم كلامه على شرط لغته فقد بيّن ، قيل له : إن كنت تريد أنّ المتكلّم بغير العربيّة قد يُعرب عن نفسه حتّى يفهم السّامع مراده ن فهذا أخسّ مراتب البيان لأنّ

---

[1] – سورة المؤمنون – الآية 3.

الأبكم قد يدلّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ، ثمّ لا يسمّى متكلّما فضلاً عن أنّ يسمّى بيّنا بليغاً »[1].

فالكلام كما يبدو في نظره نشاط عضلي مصوغ من رموز معيّنة موضوعة بحسب قواعد معيّنة هي " اللّغة " وأنّ الذي يستعمل الإشارة يستعمل اللّغة والكلام.

فالكلام إذن ، نشاط إنساني تُثيره عوامل من الخارج ، وأنّه نتيجة لإرادة المتكلّم الذي تبدي أعماله النّطقية علامات الكلمات المستعملة وتمنحها حيوية لم تكن لها في الظروف الأخرى.

أمّا اللّغة فاصطلاح جمعي تضمّ دائرتها وحدات ذهنيّة يستطيع المتكلّم بمساعدتها أنّ يستعمل علامات الكلمات ، ولكن المعرفة بهذه الوحدات الذّهنية ليست بنت اليوم أو الأمس ، بل ترجعُ إلى أيام الطّفولة فمحصولنا من الكلمات يتزايد يوما بعد يوم ، ويزداد معنى بعض الكلمات سعة عمّا كان.

---

[1] – السيوطي : المزهر في علوم اللّغة وأنواعها – لبنان – بيروت – دار الجيل – د.ت – د.ط – ج1 – ص 187.

الكلام عند العرب له مكانة العمل لأنّ القول والعمل عندهم مفترقان لا ينفكّان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسّمة ومكبّرة عن العمل ، كما هي حال الأمم المغالية في الكلام ولا قاصراً عاجزاً عن تصويره كمما هي حال الأمم الكئيبة في لسانها.

الكلام عند العرب له مكانة العمل لأنّ القول والعمل عندهم مفترقان لا ينفكّان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسّمة ومكبّرة عن العمل ، كما هي حال الأمم المغالية في الكلام ولا قاصراً عاجزاً عن تصويره كمما هي حال الأمم الكئيبة في لسانها.

الفصل الأوّل

جهود القدماء

لعلّ بواكير المؤلفات العربية أخذت تظهر إلى حيّز الوجود حوالي صف القرن الأول الهجري، حيث لم يكن العرب يعرفون معنى كل كلمة في هم، وكان الرسول ﷺ يستعمل كلمات خَفيتْ عن الصحابة، وكان بينهم يعرف أسرار العربية جيدا حتّى أنّ الإمام علي – كرم الله وجهه – قال لنّبي : « يا رسول الله، نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم العرب بما لا نفهم نه ». هكذا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة معنى الغامض من ألفاظ العربية، أن المعاجم لم تكن معروفة آنذاك، فقد كان الناس يرجعون إلى أهل العلم بحثا تفسير كلمة أو فهم معنى مستغلق ، فهذا العمل المعجمي أوجدته الحاجة إلى م اللّغة وتفسيرها، و لم يقصّر أجدادنا العرب في صون لغتنا العظيمة لغة العروبة لاسلام، وتنقيتها من الشوائب. لقد ولدت معجماتنا اللّغوية صغيرة في شكل سائل متفرقة غير منتظمة، ثم نمت شيئا فشيئا، وتوسعت وتكاملت جيلا بعد ل بجهود هؤلاء العلماء ودأبهم المستمر، وسهرهم ليستفيد اللاحق ويضيف إليه ا من عمله، وبذلك اتسع حجم التأليف وتكاملت عناصره تنظيما وإبداعا ا العمل العلمي المتلاحق.

وهكذا ظهرت المعجمات الّتي تجمع ألفاظ اللّغة وتضبط مفرداتها ، وتبين طرق لفظها مقرونة بالشروط وتفسير المعاني. ومن بين أوائل المعجمات الّتي سنتناولها بالدراسة هي :

أولا : معجم " العين " للخليل بن أحمد (ت 175هـ).

ثانيا : معجم " مقاييس اللّغة " لابن فارس (ت 395 هـ).

ثالثا : معجم " سر صناعة الإعراب " لابن جني (ت 392هـ).

معجم " العين "
للخليل بن أحمد الفراهيدي.

1- التعريف بصاحب " العين " :

الإمام الجليل وعالم اللّغة وشيخها " أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي أو الفرهودي الأزدي من أزد عمان"، ولد الخليل بن أحمد في البصرة سنة (100 هـ) ، (818م) وقيل غير ذلك، ونشأ فيها. وتلقى النحو و ضروبا أخرى من العلم على يد " عيسى بن عمر الثقفي " المتوفي سنة (143هـ)، وأيوب السجستاني، وأبي عمر بن العلاء وغيرهم . عاش

يل فقيرا، صابرا، كان شعث الرأس[أ] ، شاحب[ب] اللون، قشف[ج] الهيئة،متمزق
ب متقطع الخليل[د].

كان الخليل زاهدا عن زخرف الحياة ويؤثر غيره، فهو من علماء النحو
دمين الكبار، ورائد المعجمات الأول في العربية، فقد استقرأ العربية استقراءاً
ب ما يدعى بـــ : " الإحصاء " في عصرنا الحاضر، وهو أول من فكر في
ن لغتنا ، فألف معجمه المسمى بكتاب " العين " الذي كان أول معجم في
بية وكما يقال هو أول من سارع إلى ابتكار لغة جديدة في ترتيب الحروف
مخارجها الصوتية، ومن ضبط ألفاظها باختراع النقاط والشكل، وذلك من
ه الواسع بالموسيقى ومن حصر أشعار العرب في أوزان عروضية اهتدى إليها.

أ – ابن منظور : لسان العرب : من مادة « ش. ع. ث » : الشعث : المغبّر الرأس ، المتسف الشعر. ج2- 1997م – ط : 6 – ص 160.

ب – المرجع نفسه : مادة « ش. ح. ب » الشاحب: المهزول، والمتغير اللون لعارض من مرض أو سفر – ج1 – 1990م – ط 1 – ص 485.

ج – المرجع السابق : مادة « ق. ش. ف » : القشف : رثاثة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش . ج 9 – 1994م . ط 3 - ص 282.

د – رضوان النجار : الجواهر في البحور والدوائر . الجزائر – تلمسان – 2000م – ط 1 – ص 24.

فكر الخليل ذات مرة في ابتكار طريقة في الحساب تسهّله على العامّة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل. فكانت سبب موته الذي كان سنة (175هـ)[1].

كان الخليل أحد أفذاذ العرب الذين كلما جاد الدهر يمثلهم، حيث قال فيه " النضر بن شميل " الذي يعتبر من تلامذته : " ما رأى الراؤون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه" وقال أيضا : " أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصّ لا يشعر به "[2].

2- الاختلاف في نسبة الكتاب إلى الخليل :

يعد كتاب " العين " أوّل معجم في العربية ورائد أقدم مدرسة في التأليف المعجمي ، ويختلف عن الجهود الأخرى المبكرة في التأليف اللغوي، لأنه قد أنجز في زمن لم تكن أذهان الدارسين ممهدة لتقبل مثله، وهو أول محاولة لحصر ألفاظ اللّغة العربية على نحو شامل وفي إطار نظام منهجي واضح. فقد انفرد " الخليل " في إنجازه ولذلك بقي بعيدا عن متناول رواة اللّغة السالفين ويتفق الباحثون على أنّ خطة كتاب " العين " من عمل " الخليل بن أحمد " ، لكن

---

[1] – المرجع نفسه – ص 24.

[2] – الخليل بن أحمد : كتاب العين تحقيق : مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي – العراق. دار الرشد 1980 م – ج 1 – ص 06.

، إسهامه وإسهام تلميذه الليث بن المظفر " في تنفيذ المعجم الذي ظلّ موضع
ف بين الباحثين فمنهم من ينسب العمل كله " لليث بن المظفر " ، وهذا
ير وضعه باسم " الخليل " ليرغب فيه من حوله. ومنهم من يذكر نسبته
يل في تأسيسه وبحثوه وبيانه وتفسيره ، واستشهاده وأغلب الظن أنّ جهد
ل في كتاب " العين " هو المقدمة المنهجية وهي أهم ما في الكتاب، مع
لة تطبيقها في الأبواب الأولى ، أمّا "الليث بن المظفر" فهو رواية ما أعدّه
ل ومؤلّف باقي الكتاب، يقول الأزهري : " لم أر خلافا بين اللغويين أنّ
يس المحمل في أول كتاب العين " لابن عبد الرحمن الخليل بن أحمد " وأنّ
ن المظفر " أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه ".

ومن العلوم أنّ العباقرة المخترعين يكتفون عادة بنجاح الاختراع
كون لسواهم تفاصيل التنفيذ[1].

ومن هنا نجد أنّ " الخليل " كسواه من هؤلاء المبتكرين اكتفى بوضع
ب ألفاظ اللّغة وحصر أصولها حسابيا تاركا لسواه أمر التطبيق والتنفيذ بعد
تب الجزء الأول من كتابه ليكون مثلا يقتدى به.

التعريف بكتاب " العين " :

---

[1] – ينظر ك الأزهري : تهذيب اللغة تحقيق : لفيف من العلماء – مصر – القاهرة
– د.ت – د.ط – ص 41.

ابتكر الخليل كتاب " العين " في النصف الثاني من القرن الثاني هجري، وذلك على سبيل إطلاق الجزء على الكل، وقد رمى " الخليل " فيه إلى إجراء حصر لمفردات اللّغة العربية، ولكنه كان على يقين من عجزه، ومع ذلك فقد أمكنه حصرها على المستوى النظري دون التطبيقي.

كانت الخطوة الأولى في معجم " العين " هي تطبيق هذه الفكرة ولا بد في ذلك من ترتيب خاص تخضع له الحروف، الأول قديم وهو الترتيب الأبجدي (الذي يبدأ بالهمزة فالباء فالجيم) ، ولكن الخليل لم ير في هذا الترتيب ميزة تؤهله لأن يتبنّاه ، فهو يبدأ بالهمزة وهو حرف لا يستقر على حال وليس له رسم معين ، كذلك لم يرق له ترتيب الحروف الأخرى لأنها لا تتوالى على أساس واضح أو مبدأ معلوم ولكنها تتلاحق اعتباطا.

أمّا الترتيب الألفبائي أو الهجائي فهو يتسم بالتناسق لأنه يراعي في الحروف أن تتوالى في مجموعات أو زمر يضمّها الرسم المتشابه من مثل: ب ت ث، ح ج خ ، ط ظ، ع غ... ومع ذلك لم يجد الخليل في الترتيب الألفبائي ما يرضيه لأنه يقوم على مبدأ الرسم والكتابة، على حين أنّ اللّغة قوامها الأداء والنّطق. فالصوت في رأيه هو الأساس الذي يمكن أن يبني عليه المعجم المنشود

كذا كان الصوت أبدا منطلق الخليل في محاولة حصره للألحان الموسيقية وفي ولة رصيد لأوزان الشعر العربي، وفي محاولة استعابه لألفاظ اللّغة[1].

من خلال المعجم نحس أنّ الخليل كان على علم بالجهاز الصوتي وتركيبه جزائه وما اشتمل عليه من مدارج.

وبهذا خرج " الفراهيدي " بطريقته الصوتية الّتي ترتب الحروف وفق وجها من الحلق صعودا من أدنى إلى أعلى، بدءا من الحلق وانتهاءا بالشفتين.

لأنّ أساس اللّغة في نظره النّطق وليس الرسم، أمّا الفم فهو الأداة الّتي وّن الحروف والآلة التي تطلق هذه الأصوات ترتب الحروف على حسب اضع خروجها داخل الفم. وبعد أن اهتدى الخليل إلى هذا النظام المبتكر لم ع النظام الألفبائي الهجائي، وعلى هذا الأساس رتب الحروف على حسب رجها، فاستقام له الترتيب على النحو التالي: [ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ، ص س ز ، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن ، ف ب م، و أ ي همزة][2]

. دل أحد الشعراء على ترتيب العين بأوائل كلمات الأبيات التالية :

عن حزن هجر خريدة غنّاجة

---

[1] – ينظر : عمر الدقاق : مصادر التراث العربي – سوريا – حلب – 1977م – ط 5 – ص 164.

[2] – ينظر : الخليل بن أحمد : العين – ج 1 – ص 09.

قلبي كواه جوى شديد ضرار

صحبي سيبتدئون زجري طلبا

دهشـــتي تطـــــلب ظـــــــالم ذي

ثـــــــار

رغما لذي نصحي فؤادي بالهوى

متلـــــهـــــب و ذوي المـــــــــــلام

يمـــــــــارى

4- ترتيب حروف المعجم بحسب مخارجها :

قام " الخليل " بوضع سلمه اللغوي بعد دراسته للحروف العربية فأعطى كل طائفة من هذه الحروف مصطلحها، فيسمى " العين والحاء والهاء والخاء والغين " حروفا **حلقية**، لأنها تخرج من الحلق بعضها أرفع من بعض، و" القاف والكاف " هما حرفان لهويان لأنهما يخرجان من اللهاة، أما " الجيم والشين والضاد " حروف **شجرية** لأنّ مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم، بينما " الصاد والسين والزاي " هي حروف **أسلية** لأنها تخرج من أسلّة اللسان وهي مستدق طرفه.

"والظاء والذال والثاء" حروف **لثوية** بعضها أرفع من بعض "والطاء التاء والدال" حروف **نطعية** لأنها تخرج من نطع الفم الأعلى أي الغار و" الراء اللام والنون " حروف **ذلقية** لأنّ مبدأها ذلق اللسان ، ثم " الفاء والباء والميم من حيز واحد وهي حروف **شفوية**، أو شفاهية لأنّها تنطلق من الشفة ، أمّا حروف الباقية وهي "الواو ، والياء والألف والهمزة" فليس لها حيز تنسب إليه الهواء، إذن هي حروف **هوائية**[1].

وقد اعتمد في هذه المصطلحات على مدرجة كل حرف وموضعه الذي أ منه، وقد وضع " أبو الفرج المعافري " هذه الأحرف المرتبة على الطريقة صوتية داخل أبيات شعرية تسهيلا لحفظها :

يا سائلي عن حروف العين دونكما ... في رتبة ضمّها وزن وإحصاء

العين و الحـــــاء ثمّ الهـــــاء والخـــــاء ۞ والغين

قاف ثم الكاف أكفاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها ۞ صـــــــاد و ســـين و

ي بـعـــــدهـــــا راء

---

[1] – ينظر : عبد اللطيف الصوفي : اللغة ومعالجها – دمشق – أوتوستراد المزة – 1986م – ط 1 – ص 87.

واللام و النـــون ثمّ الفـــاء و البـــاء ۞ والميم و الـــواو و المهـــموز و اليـــاء[1]

استطاع " الخليل " أن يحدد مخارج الأصوات وقد اعتمد في ذلك ما يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النّطق معها، وقد وجد أنّ أعمق الحروف مخرجا هي حروف الحلق فبدأ بها، ووجدها ذات مخارج ثلاث وهي : [الهمزة والهاء – العين والحاء – الغين والخاء] وكان من المتوقع أن يبدأ "الخليل" معجمه بحرف الهمزة وأن يسمي كتابه بالهمزة، ولكنه عدل عن ذلك والسرّ في ذلك أنّه وجد الهمزة صوت معرض للتغيرات مثل التسهيل أو الحذف فهو لا يستقر على إقرار، ولأنّ الهمزة حرف مضغوط مهتوت إذا رفعها عنه انقلب ألفا أو واوا أو ياءا، ولم يبدأ بالألف لأنها ساكنة فلم يشأ أن يبدأ بها ووجد أن الهاء صوت مهموس خفيّ لهوي فهي كالألف ولكنّها أقوى منها في التأليف لأنّها تقبل الحركة، فلم يشأ أن يبدأ بها ليتردّد بين الحاء والعين ، فوجد أن الحاء صوت مهموس أيضا فبدأ بالعين لأنها أول الحروف مخرجا فهي مجهورة وأكثر صناعة وثباتا، فسمّى كتابه "العين "[2].

---

[1] – السيوطي : المزهر في علوم اللغة – لبنان – بيروت – دار الفكر – د.ت – ج 1 – ص 87.

[2] – ينظر : المرجع السابق – ص 87.

- تبويب المعجم :

جعل الخليل معجمه أقساما عدد الحروف واتخذه أساسا له في ترتيب جمه حيث سمّى كل حرف من هذه الحروف كتابا، فابتدأ معجمه بكتاب ن، وأتبعه كتاب الحاء، فكتاب الهاء وهكذا حتّى استوفى سائر الحروف، سع عنوان الكتاب الأول فشمل المعجم الأول بكتبه المختلفة واشتهر هذا جم باسم كتاب " العين " من باب تسمية الكل بالجزء. وبالتالي كان " يل " أسبق من ذاق مخارج الحروف حيث يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر " كان ذواقه إياه أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف ، نحو : أب، أت، ، أع، أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أوّل الكتاب ثمّ ما ب منها الأرفع فالأرفع، حتّى أتى إلى آخرها وهو الميم [1].

- نظام الأبنية :

اعتمد " الخليل " هذا المبدأ في كتابه، أي الأسس الّتي تقوم عليها الألفاظ .ما قسّم كلّ حرف من حروفه وفق الأبنية ، فعدّة أبواب كتاب " العين " عدّة الحروف السواكن يضاف إليها باب خاص بأحرف العلّة ، وأوّل أبواب

---

[1] – ينظر : الخليل بن أحمد : العين ج 1 – ص 64.

الكتاب باب " العين " الذي اتخذ منه اسم هذا المعجم، ووجد أن كلام العرب مبني على أربعة أصناف : الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فجعل هذه الأبنية أساس تقسيم كل من الكتب التسعة والعشرين إلى أبواب أربعة.

ولم يكتف بهذا بل فصل المضعف والمعتل عن الصحيح، وأفراد لها أبواب مستقلة، وهي آخر أبواب كتاب " العين " وآخر كلمة ترجمت فيه هي كلمة (آية) وكل باب من تلك الأبواب يتناول بالدرس الكلم مرتبة بحسب عدّة أصولها، والكلم من حيث عدّة أصولها تندرج في ستة أبواب.

1- باب الثنائي المشدّد ثانيه.

2- باب الثلاثي الصحيح.

3- باب الثلاثي المعتل .

4- باب الثلاثي اللفيف.

5- باب الرباعي

6- باب الخماسي.

وليس بعد الخماسي باب لأنّه « ليس للعرب بناء في الأسماء والأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة إلى خمسة أحرف في فعل أو اسم

علم أنها زائدة على البناء، نحو : (قرعبلانة) إنما هو قرعبل ومثل عنكبوت، إنما : عنكب »[1].

- طريقة الكشف عن الكلمات في " العين " :

التقاليب :

اعتمد " الخليل " مبدأ التقاليب وهو توليد كلمة من كلمة بتغيير مواضع وفها، وهو ما يعرف بالاشتقاق الكبير، فقد رأى الخليل مثلا : أن حرف ن يمكن أن يغير موضعه في البناء الثنائي مرّتين بأن يكون أوّلا أو ثانيا وفي اء الثلاثي يغيّر موضعه ثلاث مرات بأن يكون في أوّل الكلمة أو أوسطها أو رها.

وفي الرباعي أربع مرات وفي الخماسي خمس مرّات، وعلى أساسه تنقلب لمة الثنائية إلى صورتين ككلمة (عب، بع أما) الكلمة الثلاثية ففيها ست ر أكثرهم مهمل.

كانت المادة الأولى عنده هي المؤلفة من العين والهاء والقاف، لم يستعمل من ه هذه المادة إلاّ وجهان (عهق — هقع) فأثبتها وأهمل الوجوه الأخرى ، فإذا

[1] – ينظر : الأزهري : تهذيب اللغة – ص 42.

انتهى من الكلمة وتقلياتها انتقل إلى الكلمة الّتي تليها وهي المؤلفة من العين والهاء والكاف مثل (عهك)، ولم يستعمل غيرها فأثبتها وأهمل ما سواها من التقليبات.

وترتفع هذه الصور في البناء الرباعي إلى أربعة وعشرين صورة مثل (عقرب) و(علقم) وفي الخماسي إلى مائة وعشرين صورة، مثل : (قرعبل) ولا يستعمل منه إلا القليل، والذي جعل (قرعبل) من الخماسي من حرف العين هو أنّ العين أحد أصولها وهكذا سائر الحروف الصحاح إلى الميم الذي هو آخرها ، إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالعين مع ما يليها من الحروف فيعقد بابا جديدا وهو باب الحاء مع ما يليه ، ويفعل فيه ما فعل في باب العين إلى أن تنتهي أبواب الكتاب كلها. ولّما كانت هذه الصّور تأتي من حروف الكلمة الواحدة في الموضع المختلفة سمّيت " تقاليب "[1].

ولا بد قبل أن نحاول الكشف عن كلمة :

1- أن نعرف ترتيب حروف الهجاء الذي قام عليه تأليف كتاب " العين " لنستطيع أن نحدد موقع أي باب من أبواب الكتاب.

---

[1] - ينظر : الخليل بن أحمد : العين ج 1 - ص 16.

- أن نجرد الكلمة من الزوائد فكلمة " لمعان " نجدها في باب الثلاثي من
ف العين أي في باب " العين " و " الميم " و " اللام " معهما وتكون الكلمة
ئذ (لمع) ولا اعتبار (للألف والنون) لأنهما زائدان على أصل البناء، وكلمة
) هي في مجموعة (علم).

- وأن نردّ المعلّ إلى أصله في الكلمة المعتلة، فكلمة (عطية) بعد تجريدها من
ئد وهو الياء والهاء، وبعد إعادة المعلّ إلى أصله في باب الثلاثي المعتل من
ف العين، وفي باب العين والطاء والواو معهما أي (عطو).

- إذا لم يكن في الكلمة (عين) كان الاعتبار للحرف الأسبق في ترتيب
وف فكلمة (لهج) مثلا : نجدها في باب الثلاثي من حرف (الهاء).

- وكلمة (واي) نجدها في آخر باب من أبواب الكتاب، أي باب الأحرف
لة لأنها تتألف من الواو والهمزة والياء وكلهن من أحرف العلة[1]. وقد تتبع "
يل " التقاليب المتعددة لكلّ بناء ، وكان يبدأ بالتقاليب الذي يكون مخرج
فه أقرب إلى أقصى الحلق أي مقدما بالترتيب الذي ابتكره " الخليل " ، لأن
هذه الطريقة تساعده على الحصر وتجنبه التكرار فيما بعد.

---

[1] - المرجع نفسه – ص 30.

ب- المهمل والمستعمل :

من الطبيعي ألا تكون جميع تقاليب البناء مستعملة في اللّغة ، وبخاصة في الأبنية الرباعية والخماسية الّتي تتكاثر فيها تلك التقاليب كثرة بالغة ، ولذلك قد يكون منها المستعمل ومنها المهمل. استهل " الخليل " معجمه بحرف " العين " وذلك بشرح كلمة (عق) ثم (عك) في باب الثنائي الصحيح أو المضاعف ، بينما المفروض أن يبدأ هذا الباب بفصل " العين " مع ما يليها وهو "الحاء"، ثم فصل "العين" مع ما يلي " الحاء " وهي "الهاء" حسب ترتيب الحروف على طريقته الصوتية ، ولكنّه لم يعثر على كلمات تتألف من " العين والحاء "، ولا "العين والهاء"، وعلّل ذلك بقوله أنه نظرا لقرب هذين الحرفين من مخرجهما أي من أقصى الحلق ويتعذر النّطق بهما معا، وهكذا شرح مادة (عق) عند بلوغه فصل " العين " مع " القاف " ثم بعدها مباشرة مقلوبها (قع) دون العودة إلى شرح هذه الكلمة إلى باب " القاف " ثانية مكتفيا بشرحها في باب " العين "، وذلك تحاشيا للتّكرار وكذا الحال مع بقية فصول الثنائي بل في سائر فصول الكتاب.

ولهذا يمضي " الخليل " في أبنية الثلاثي إلى الدقة والإحكام ، فإذا تناول في باب "العين " كلمة (عقل) وفرغ من شرحها انتقل إلى تقاليبها ، حيث نجد أن " الخليل " اتخذ أول حرف في معجمه على حسب أوائل الألفاظ، على حين

غويون آخرون من بعده إلى الاعتماد على الحرف الأخير في تناول الألفاظ بها.

وقد أقام " الخليل " شروحه على دعائم قوية من الشواهد الشعرية آنية أولا، ثم الحديثية والأمثال ثانيا، كما وجّه عناية خاصة إلى لغات ، عند تكرار معنى اللفظ الواحد أو عند استبدال حرف منه بآخر قد ه بعض القبائل[1].

وقد وردت في كتاب " العين " هنّات كثيرة مثل : الأخطاء الصرفية ريف، وإهمال أبنية مستعملة وهي هنّات لا يمكن أن يقع فيها عالم كبير الخليل"، لذلك يعتقد أنها وقعت بسبب الناسخين.

واب المعجم بحسب الأبنية :

قسم الخليل في كتابه كل حرف من حروف العربية إلى أبواب ، وذلك ، الأبنية الّتي تضمنها فجاءت كالتالي :

ب الثنائي الصحيح :

* **باب العين والجيم (ع ج، ج ع مستعملان) :**

[1] – ينظر : عمر الدقاق : مصادر التراث في اللغة والمعاجم– ص 168.

1/عجّ : العجّ : رفع الصوت، يقال : عجّ يعجّ عجّا وعجيجا. وفي الحديث: « أفضل الحج العجّ والثجّ » فالعجّ رفع الصوت بالتلبية ، والثجّ : صبّ الدماء ، يعني الذبائح، وعجعجت بالناقة : عطفتها إلى شيء.

2/ جعّ : جعجعت الإبل : حرّكتها للإناخة ، قال الأغلب :

عود إذا جعجع بعد الهب ۞ جرجر في حنجرة كالجب

وجعجعت بالرجل : حبسته في مجلس سوء . والجعجاع من الأرض معركة الأبطال.

2- باب الثلاثي الصحيح :

* **باب العين والقاف والسين** : (ع س ق، ق ع س، س ق ع مستعملان) :

1/ عسق : العسق ، لزق الشيء بالشيء. عسق بها عسقا ، وعسقت الناقة بالفحل، أربّت به ولازمته. قال رؤبة : " فعفّ عن إسرارها بعد العسق ، ويقال : في خلقه عسر وعسق أي إلتواء يصفه بسوء الخلق وسوء المعاملة. والعسق : العرجون الرديء.

2/قعس : القعس : نقيض الحدب، قعس قعسا، فهو أقعس، والأنثى قعساء، وجمعه قعس. والقعساء من النمل : الرافعة صدرها وذنبها، ويجمع قعسا. (وقعساوات غلبة الصفة).

عاس : التواء يأخذ في العنق من ريح كأنما يكسره إلى الوراء، ورجل أقعس أي
ع.
/ **سقع** : السقع مستعمل في الصقع في بابه[1].

- باب الثلاثي المعتل :

اب العين والصاد و(واي) معهما : [ع،س].

ص و ، ع ص ي ، ع و ص، س ع و، ص ع و ، ص و ع ، وص ع،
تعملات.

عصو ،عصي:

صا : جماعة الإسلام ، فمن خالفهم فقد شقّ عصا المسلمين ، [والعصا :
د، أنثى] عصا وعصوان وعصيّ.
صي بالسيف : أخذه أخذ العصا، أو ضرب به ضربه بالعصا، وعصا يعصو،
صا : عرقوة الدلو. ويقول عصى عصيانا ومعصية والعاصي : اسم الفصيل
صة إذا عصى أمه في اتباعها.

[1] – ينظر : الخليل بن أحمد : العين – ج1 – ص 130.

2/ عوص، عيص : العوص: مصدر الأعوص و العويص.
إعتاص هذا الشيء إذا لم يمكن. وكلام عويص وكلمة عوصاء. وتقول: أعوصت في المنطق وأعوصت بالخصم: إذا أدخلت في الأمر ما لا يفطن له.
وأعتاصت الناقة: ضربها الفحل فلم تحمل من غير علة. و المعيص، كما تقول: المنبت: اسم رجل. و العيص: منبت خيار الشجر. وأعياص قريش كراهم يتناسبون إلى عيص وقيل العيص: السدر الملتف.
3/ صعو : الصعو: صغار العصافير، و الأنثى: صعوة، وهو أحمر الرأس والجميع : الصعاء. ويقال: صعوة واحدة و صعو كثير ويقال: بل الصعو والوصع واحد، مثل: جذب وجبذ.
4/ صوع : الصواع: إناء يشرب فيه. وإذا هيأت المرأة موضعا لندف القطن قيل: صوّعت موضعا، و اسم الموضع: الصّاعة. وأنصاع القوم فذهبوا سراعا ، وتصوّع النبات إذا صار هيجا، و التصوع: تقبض الشعر. والصاع : مكيال يأخذ أربعة أمداد وهي من بنات الواو.

، **وصع** : الوصْع والوصَع: من صغار العصافير خاصة، و الجميع : وصْعان، ، الحديث: « إن العرش على مكتب إسرافيل، وإنّه ليتواضع الله حتّى يصير ، الوصع ». والوصيع : صوت العصفور[1].

- باب اللفيف من العين : اللفيف أن تلف الحرف بالحرف أي تدغم لأن العي له العَوْيُ، فاستثقلوا إظهار الواو مع الياء المتحركة، فحولوها ياءا وأدغموها ا.

عوي : عوت السباع تعوى عوى ، وللكلب عواء، وهو صوت يمده وليس ح، وعويت الحبل عيا: لويته. وعويت رأس الناقة، أي عجتها فانعوى، و الناقة ي برقها في سيرها: أي تلويها. بخطمها.

ى فلان قوما واستعوى: دعاهم إلى الفتنة. وعويت المعوجّ حتّى أقمته و وية: الكلبة المستحرمة تعوي إليهنّ وتعوين، يقال: تعاوى الكلاب. والعُوّاء : في السماء يؤنّث يقال لها عوّاء.

عيي : والعيّ مصدر ، وفيه لغتان : رجل عيّ بوزن فعل وعييّ بوزن فعيل، عيّ عن حجته عيّا، و عييت بهذا الأمر وعنه، إذا لم أهتد لوجهه، وأعياني

[1] – ينظر : الخليل بن أحمد : العين – ج2 – ص 198.

الأمر أن أضبطه ، والداء العياء: الذي لا دواء له، والفعل العياء: الذي لا يهتدي لضراب الشول.

والعياياء من الإبل: الذي لا يضرب ولا يلقح، وكذلك من الرجال.

3/ وعي : وعى يعي وعيا: أي حفظ حديثا و نحوه،و وعى العظم : إذا أجبر بعد كسره، تقول : وعوعت الكلبة وعوعة ، اليعياع ، لا يكسر . وإنما (يع) من كلام الصبيان وفعالهم ، إذا رمى أحدهم الشيء إلى الآخر ، لأن الياء خلْقتها الكسرة فيستقبحون الواو بين كسرتين، والواو خلْقتها من الضمة فيستقبحون إلتقاء كسرة وضمة ، ولا تجدها في كلام العرب في أصل البناء سوى النحو .

5- باب الرباعي من العين :

قال " الخليل" : سمعت كلمة شنعاء لا تجوز في التأليف الرباعي. سئل أعرابي عن ناقته فقال : تركتها ترعى العهعج ، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا أن يكون هذا الاسم من كلام العرب ، وقال الفذ منهم: هي شجرة يتداوى بورقها. وقال أعرابي : إنما هو الخعخع ، وهذا موافق لقياس العربية .

1/ علقم : العلقم : شجر الحنظل : القطعة ، علقمة .

2/ عملق : عملاق : أبو العمالقة و ذهم الجبابرة الذين كانوا بالشام على عهد موسى عليه السلام.

/ قنبع : قنبع الرجل في ثيابه : إذا دخل فيها، وقنبعت الشجرة : إذا صارت نرتها في قنبعة أي في غطاء ، والقنبعة مثل : الخنبعة إلا أنها أصغر .

/ عنتر : العنتر : الشجاع.

/ بعثر : يقال بعثره بعثرة : إذا قلب التراب عنه.

- باب الخماسي من العين :

قال الليث، قال " الخليل " : الخماسي من الكلمة على خمسة أحرف و لا أن ون من تلك الخمسة واحد أو إثنان من الحروف الذلق : ر ، ل ، ن ، ف ، ، م ، فإذا جاءت كلمة رباعية أو خماسية لا يكون فيها واحد من هذه الستة لم أنها ليست بعربية ، لأنه ليس فيها من تلك الأحرف الستة شيء. فمن ماسي :

عفنقس وعقنسس: لغتان مثل : جذب وجبذ ، وهو السيّء الخلق المتطاول الناس، يقال للعقنفس : ما الذي عقفسه وعفقسه ؟ أي ما الذي أساء نه بعدما كان حسن الخلق، قال " العجاج " : " إذا أراد خلقا عفنقسا ".

سبعطر : السبعطري : الضخم الشديد البطش .

علطميس : العلطميس من النوق الشديدة الضخمة .

4/ عندليب : العندليب : طوير يصوّت ألوانا[1].

9- نقد المعجم :

اتّهم " الخليل " بكونه مقلدا لا مبتكرا بطريقته هذه وهو اتهام يفتقر إلى الحجة والبرهان، فهناك من زعم أنه كان على صلة وثيقة بـــ"حنين بن إسحاق " الذي كان يعرف اليونانية ويترجم عنها ، وأنّ هذا الأخير نقل هذه الطريقة في الترتيب عن اليونانية إلى " الخليل " ، وهو زعم باطل لأنّ " حنين " ولد عام (194 هـــ) أي بعد وفاة " الخليل " ، فضلا عن أنه لم يعرف عن اليونان معجما رتّب وفق هذه الطريقة[2].

ونظرا لعلم " الخليل " الواسع و ذكائه الذي عرف به ، فإن القول الأصح هو أنه مبتكر هذه الطريقة غير مقلد.

حصر " الخليل " ألفاظ اللّغة بدقة فشرح منها المستعمل وترك المهمل و جاء بعده "ابن دريد" فلم يرد أن يجمع على حد سواء كل اللّغة ، لكنه اختار منها " الجمهرة ".

---

[1] – ينظر : المرجع نفسه – ص 270 – 347.

[2] – ينظر : عبد اللطيف الصوفي : اللّغة ومعاجمها – ص 89.

ضمّن " الخليل " معجمه كثيرا من الألفاظ الغريبة مما يعتبر من غير الصحيح
ائع بين العرب، والدليل على ذلك ما جاء بعده من معاجم اتخذت أسماء
ي بالحرص على تنقية اللّغة من الغريب و الحوشي مثل: تهذيب اللّغة
هري والصحاح للجوهري. حيث لم يتناولوا المواد الأساسية بل إضافات
ية، كالزيادة في الشواهد من شعر وقرآن وحديث أو نسبة أبيات إلى
حابها لم تنسب في العين.

إذا عدنا إلى العين اهتدينا إلى أنّ " الخليل " قد فطن إلى شيء في التطور
يخي ، حيث تكلم عن البناء المضاعف الثلاثي و الرباعي فتلمح في كلامه ما
ـى إليه الباحثون في عصرنا من أن المضاعف الثلاثي قائم على الثنائي ومن
ـ ذلك يدعوه بالثنائي ، وأنّ هذا الثنائي يصار به إلى الثلاثي إمّا عن طريق
عيف وإمّا عن طريق زيادة صوت آخر ، ومعنى هذا أن طريقة تضعيف "
" الكلمة هي الطريقة الأولى في نقل الثنائي إلى الثلاثي، ثم يعرض لما زاد عن
ثي في هذا البناء المرتب على الثنائي، ثم انتقل إلى المضعف ثم إلى غير المضعف
نا ندرك أنّ " الخليل " كان على علم واضح بأبنية العربية وتطورها
يخي [1].

[1] – ينظر : الخليل بن أحمد – العين – ج1 – ص 9.

لاحظ " الخليل " أنّ الكلمات العربية محصورة في الثنائي والخماسي ولا تقل عن ذلك ، كما أنها لا تزيد إلاّ بحروف زوائد لا دخل لها في المعنى الأصيل للكلمة المجردة، فإذا كانت الحروف محددة بتسعة و عشرين حرفا، وكانت الكلمات المؤلفة منها تتراوح بين الثنائي والخماسي، أصبحت الألفاظ العربية تدخل في نطاق الحصر[1].

وبهذا فإن كتاب " العين " بالرغم مما قيل فيه و على تقادم الزمن و عبث الوراقين....كان مصدر إلهام اللغويين، نهجوا نهجه واحتذوه ، حيث رمى " الخليل " إلى إجراء حصر اللّغة العربية و لكنه كان على يقين من عجزه عن حصر جميع الألفاظ العربية وما يدل عليه كل لفظ من معان حتّى قال قولته المشهورة « لا يحصر اللّغة العربية إلاّ نبيّ »، يريد أن إنسانا عاديا يعجز عن ذلك أي يحتاج الأمر إلى فرد تمده القدرة الإلهية بطاقة غير بشرية[2].

وما نخلص إليه أن كتاب "العين" لا يمكّن طالب العلم أن يعلم موضعه من الكتاب من غير أن يقرأه، إلاّ أن يكون قد نظر في التصريف وعرف الزائد والأصلي والمعتل والصحيح والثلاثي ، والرباعي والخماسي ومراتب الحروف

---

[1] – ينظر : عمر الدقاق : مصادر التراث في اللّغة ومعاجمها – ص 164.

[2] – ينظر : حسين نصار : دراسات لغوية – لبنان – بيروت – دار الرائد العربي – د.ت – د.ط – ص 14.

الحلق ومن اللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكّن من وجوه
يفيها بلا زيادة، ونحتاج من هذا إلى أن نعلم الطريق الّتي وصل الخليل منها
حصر كلام العرب، فإذا عرفت هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من
ب " العين " قال " الخليل " :
كتابنا قصدنا فيه التقريب على طالب الحرف وأن يستوي في العلم منه
فه العالم والمتعلم"[1].

إنّ "العين " كان المادة الأساس لمعجماتنا وآرائهم في اللّغة، وكان مصدر
عظيمة نقلت التأليف المعجمي من طور السذاجة إلى طور النضج و
تمال .

[1] – السيوطي : المزهر – ص 91.

معجم " مقاييس اللّغة " عند أحمد بن فارس.

التعريف بابن فارس :

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني اللغوي، لم : المؤرخون تاريخ ولادته واختلفوا في نسبه وموطنه، فلقب بالرازي، و ويني و الزهاوي والهمذاني ، تنقّل في كثير من البلاد ساعيا للعلم ، غير أنه ر غالبا في مدينة " همذان " وقد إلتقى هناك " بالصاحب بن عباد " الذي . عنه اللّغة و الأدب.

أقام في مدينة " الري " وكان " ابن فارس " كريما ، جوادا ، فقيها ميا ثم صار مالكيا[1].

لقد عاش " ابن فارس" عصرا حضاريا في فكر العرب والمسلمين ، لس أدباء وعلماء عصره حيث دارت بينهم الأحاديث والمجادلات ومن ء الشيوخ والعلماء نجد : أبوه فارس بن زكريا ، وأبو الحسن علي بن ييم بن سلمة القطان ، وأبو سعيد السيرافي[2].

---

[1] – ينظر : ياقوت عبد الله الحموي : معجم الأدباء – مصر – 1924 – ج2 – ص 07.

[2] – ينظر : عبد الرحمن خربوش : ابن فارس وأثره في الدراسات اللغوية – الجزائر – تلمسان – 1991 – ط1 – ص 10 (رسالة مخطوطة).

وأما تلامذته فكثيرون ، من أشهرهم: " الصاحب بن عباد " ، " بديع الزمان الهمذاني " ، " علي بن القاسم المقري " .

و آثاره ومصادره مختلفة حيث له من التصانيف مايلي:

1 - الصاجي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلامها.

2 - معجم مقاييس اللّغة .

3 - المجمل

4 - كتاب متخير الألفاظ .

5 - الإتباع و المزاوجة .....و غيرهم .

* أما عن وفاته لا خلاف بين المؤرخين في أن " ابن فارس" قد توفي في مدينة " الري " في صفر سنة (395 هـ) ودفن بها.

و" ابن فارس " شاعر قال قبل وفاته بيومين :

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها ۞ علما و بي و بإعلاني و إسراري

أنا الموحد لكني المقر بهـــــا ۞ فهب ذنوبي لتوحيدي و إقـــــراري[1]

[1] - ينظر : المرجع السابق – ص 6 – 12.

- أصل اللّغة عند ابن فارس :

إن الذي يعنينا في موضوع نشأة اللّغة ، أن المذهب التوقيفي ومذهب اضعة كانا أكثر المذاهب أنصارا، أمّا غيرها فقد كان أصحابها يقفون موقفا طا بين المذهبين المذكورين ، حيث يشتد الخلاف بينهما ويقوى الجدل. وممن ي بأن اللّغة توقيفية من صنع الله تعالى وأنّه لا بدّ للإنسان في نشأة ألفاظها أو ماتها ، نجد " ابن فارس " هذا العلامة الذي يعد من أشهر أئمة العرب حثين في أصل اللّغة و نشأتها .

ولقد برع ابن فارس في علوم شتى منها المعجمات ، وميدان فقه اللّغة ، فيه كتاب (الصاحبي في فقه اللّغة العربية و مسائلها و سنن العرب في مها).

وقد سماه بـــ"الصاحبي " نسبة " للصاحب بن عباد"، أمّا مضمون اب حول اللّغة العربية وأولويتها ومنشئها ثم يبحث في أساليب العرب في لبهم ، وفي الحقيقة والمجاز، و قد بدأ الكتاب بباب قرر فيه أن اللّغة العربية ف و ليست اصطلاحا .

اب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح :

حيث يقول فيه : إنّ لغة العرب توقيف والدليل على ذلك قوله جل ثناؤه :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[1] . فكان " ابن عباس " يقول : علمه الأسماء كلها وهي هذه الّتي يتعارفها الناس ، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. روى " خصيف " عن مجاهد قال : علمه اسم كل شيء. وقال آخرون : إنما علمه أسماء الملائكة، وقال غيرهم : علمه أسماء ذريته أجمعين.

وعن « ابن عباس » قال : إن قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال : " ثم عرضهن أو عرضها"، عوض " عرضهم " ، علم أنّ ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأنّ موضوع الكناية في كلام العرب يقال لما يعقل (عرضهم) ولا يعقل (عرضها أو عرضهنّ)، قيل له : إنّما قال ذلك والله أعلم، لأنّه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، يعني " باب التغليب "[2].

وذلك كقوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾[3].

---

[1] – سورة البقرة – الآية : 31.

[2] – ينظر : أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة العربية – ص 13.

[3] – سورة النور : الآية : 45.

فقال : " منهم " تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنوا آدم.

ثمّ يقول : لعلّ ظانّا يظنّ أن اللّغة الّتي دلّلنا على أنّها توقيف، إنّما
ت جملة واحدة وفي زمان واحد، بل وقّف الله جلّ وعزّ آدم عليه السلام،
ما شاء أن يعلّمه إيّاه، ممّا احتاج إلى علمه في زمانه، ثمّ علّم بعد آدم عليه
لام الأنبياء صلوات الله عليهم ما شاء أن يعلّمهم، حتّى انتهى الأمر إلى نبينا
د ﷺ ، فأتاه الله عزّ وجلّ من ذلك ما لم يأته أحدا قبله من اللّغة المتقدمة ثمّ
لأمر قراره، فلا نعلم لغة من بعده حدثت.

لقد بلغنا عن " أبي الأسود " (10هـ) أن امرءا كلّمه ببعض ما أنكره "
الأسود"، فسأله " أبو الأسود " عنه فقال : " هذه لغة لم تبلغك "، فقال له :
ابن أخي لا خير لك فيما لم يبلغني ". فعرّفه بلطف أنّ الّذي تكلّم به
ن.

وقد كان في الصحابة رضي الله عنهم – وهم البلغاء والفصحاء – النظر
لعلوم الشريفة، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظة لم
مهم، ومعلوم أنّ حوادث العالم لا تنقضي إلاّ بانقضائه ولا تزول إلاّ
له[1].

[1] – ينظر : المرجع السابق – ص 36 .

فهو بهذا إذن مطمئن إلى مذهبه، معتقد أنّه موضع رعاية النقاد ومحل عنايتهم وحرصهم، يدافعون عنه إذا ما هاجمه أحد ويذكر هذا في قوله : " فإنّ اليوم متعمل وجد من نقاد العلم من ينفيه ويرده ".

3- دراسة معجم المقاييس :

يعد " ابن فارس " من أبرز اللغويين الّذين تفقهوا في العربية وعرفوا خصائصها، وقد عاش في النصف الثاني من القرن الرابع، وبلغت كتبه زهاء الأربعين، في مقدمتها " الصاحبي في فقه اللّغة " ثمّ كتاب " المجمل في اللّغة " وكتاب " مقاييس اللّغة " والمجمل ومقاييس اللّغة معجمان لغويان يتشابهان في أكثر الوجوه.

و" المجمل " أوجز، وقد استفاضت شهرته وذاع أمره، على حين لم يحظ كتاب " المقاييس " بمثل ذلك رغم غزارة مادته.

لقد سار " ابن فارس " متأثرا بمناهج أسلافه من أصحاب المعاجم، وفي طليعتهم "الخليل " و"ابن دريد" (321 هـ)، وكان له منهجه الخاص الّذي لم يفطن إليه أحد قبله من العلماء ويتجسد هذا من خلال معجمه " مقاييس اللّغة " و" المجمل " ، إلاّ أنّ المقاييس كانت له فكرته الخاصة عن بقية المعاجم.

حيث استهلّ كتابه بمقدمة قصيرة، أخذت ثلاث صفحات من المطبوع، ر فيها إلى هدفه ومنهجه في علاج المواد ومراجعته، وتبيّن أنه رجع إلى خمسة ب هي : " العين " للخليل و"الجمهرة" لابن دريد، و"غريب الحديث" لغريب المصنف" لأبي عبيد و"إصلاح المنطق لابن السكيت"، حيث قال : " ه الكتب الخمسة اعتمدنا فيها على ما استنبطناه في "مقاييس اللّغة"، وما بعد ه الكتب محمول عليها.

يبدو أنّ فكرة المقاييس الّتي أطلقها "ابن فارس " عنوانا لمعجمه الّتي كانت فل ذهنه، وهو يعني بها "الاشتقاق الكبير" ، الّذي يرجع مفردة كلّ مادة إلى ن أو معان تشترك فيها هذه المفردات، وكان " ابن فارس " كثير الاهتمام أ القياس في اللّغة، حيث يرمي إلى كشف الستار عن المعنى الأصلي المشترك جميع صيغ المادة.

منهجه :

سار " ابن فارس " في ترتيب المقاييس سيره في ترتيب المجمل بدون تغيير نوظ، ومنهجه هذا محكم " بيّن، لم يعتنق فيه مذهب "الخليل" ولا "ابن د"، إلاّ أنّه تأثر بـــ"الخليل" فقط في أبواب الثنائي المضاعف، فأدخل فيها اعي المضاعف، وسماه "المطابق". والحقّ أنّ "ابن فارس" لم يكن لديه فكرة دة بل فكرتان، فكرة الأصول، والمقاييس في المواد الثنائية والثلاثية، وفكرة

النحت في المواد غير الثلاثية الأصول، على أنّه راعى في أبواب ما زاد على الثلاثي أن يقسم كثيرا من الأبواب إلى ثلاثة أقسام :

أولها : الألفاظ المنحوتة.

وثانيها : الألفاظ الّتي زيد فيها حرف أو حرفان .

ثالثها : الموضوع أصلا على الرباعي أو الخماسي لكنه وقع في الكثير من الخلط فيه[1].

ب- **الترتيب المعجمي** :

لقد بوّب " ابن فارس " معجمه على الترتيب **الألفبائي** متتبعا في ذلك جمهرة "ابن دريد" ، غير أنّه يختلف عنه في أنّ " ابن فارس " طرح مبدأ التقاليب واتخذ مبدأ الأصول في مواده اللّغوية، حيث قسم مواد اللّغة إلى كتب، وذلك بالنظر إلى الحرف الأول، تبتدأ بكتاب " الهمزة " وتنتهي بكتاب " الياء " ، مرتبة حسب الترتيب المشرقي لحروف الهجاء، ثمّ قسم كلّ كتاب إلى ثلاثة أبواب، وذلك على حسب عدد الأبنية.

---

[1] – ينظر : محمد مصطفى رضوان : العلامة ابن فارس الرازي – مصر – دار المعارف – د.ت – د.ط-ص215.

ا : باب الثنائي المضاعف والمطابق، مثل : « باب القاف وما بعدها في
ثي الّذي يقال له المضاعف والمطابق » ، قلّ ، قمّ، قنّ، ثمّ انعطاف إلى البداية
بّ — قدّ — قرّ — قصّ.

ها : أبواب الثلاثي الأصول من المواد مثل : « باب القاف واللام وما
ها » : قلم، قله...ثمّ انعطاف إلى : قلب — قلت — قلح — قلع...

اب القاف والنون وما يثلثهما، فالقاف والهاء، وبعد استيفاء ذلك يكون عود
ما قبل مادة (قلم) الّتي انعقد لها باب الثلاثي وبدئ بها ، فترد القاف مع
، وما يثلثهما» على هذا النحو : قبح — قبر — قبس — قبض...وبعد ذلك مع
، : قتد — قتر...ثمّ انعطاف إلى قتب وبعدها تنتقل إلى : قحد، قحف...وبعد
ل : قدر — قدس...وأخيرا قفل — قفن — قفي ثمّ انعطاف إلى قفر — قفز.
يرا : قفع.

ثها : باب ما زاد على الثلاثي من المجرد مثل : « باب ما جاء على أكثر من
ة أحرف » أي باب الرباعي والخماسي : القلمّس : ويشرحها " ابن فارس "
ن السيد. والقدموس أي : القديم. والقرفصاء وهي جلسة. والقطرب، وهي
بة.

وحين يفرغ المؤلّف من كتاب " القاف " بعد أن استوفاه ينتقل إلى كتاب "الكاف" ويسير فيه على حسب الأقسام الثلاثة المتقدمة متبعا في داخلها النسق السابق.

التزم في كلّ قسم من القسمين الأولين ترتيبا خاصا حيث رتب الكلمات في بابي الثنائي والثلاثي بحسب الحرف الثاني منها، لاتفاق الحرف الأول فيها دواما، فالثنائي من كتاب " الهمزة " مثلا : يستهل بالهمزة مع الباء، فالهمزة مع التاء إلى آخره، وراعى في الثلاثي ترتيب حرفه الثالث أيضا، وعلى هذا جاء باب المضاعف في كتاب الهمزة وباب الثلاثي ممّا أوله همزة وباء، مرتبا ترتيبا طبيعيا على نسق حروف الهجاء مثل : (أتل)، (أتم) ، (أتن)...، وفي أبواب الثلاثي من التاء ذكر أولا باب التاء والجيم وما يثلثهما، ثمّ باب التاء والحاء وما يثلثهما ، وهكذا إلى أنّ انتهت الحروف، ثمّ رجع أدراجه واستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما، وهذا تقسيم صغير ومحكم يفضل تقسيم "الخليل" و"ابن دريد" ويفوقه اضطرادا ويسرا[1].

ج- **نظام التقاليب** :

[1] - ينظر : المرجع نفسه - ص 283.

طرح " ابن فارس " نظام التقاليب حيث وضع كلّ كلمة في موضعها
ثق بها فلما سار على نظام إيراد الحرف مع ما يليه تأثر منه بـ"الخليل" و"
دريد "، فوجد نفسه بعد أن وصل إلى حرف الياء من كلّ مادة لا يزال
مه الكلمات المؤلفة من الحرف والحروف السابقة عليه، فوضعها في آخر الباب
. حرف الياء ورتبها الترتيب المألوف المبتدأ بالألف فالباء فالتاء حتّى ينتهي
. الحرف السابق مباشرة، لحرف الباب أو حرف الباب نفسه.

التزم ألاّ يستهلّ الباب إلاّ بالحرف المعقود له مع ما يليه فيبدأ باب الباء
ـ بها مع التاء لا الهمزة أو الباء، وباب التاء بها مع الثاء لاّ الهمزة أو الباء أو
ء..ثمّ قد أهمل الترتيب في أبواب ما زاد على ثلاثة أصول مكتفيا بأن تبدأ
لمات بالحرف المعقود له كلّ باب، ولا اهتمام عنده بما يُعدّ الحرف الأوّل،
لط في هذه الأبواب جميعها الرباعي والخماسي ولم يفرق بينهما أبدا ، وترك
ل المزيد بحرفين إلى المزيد بحرف واحد حيث قال : " أعقت الحامل إذا نبتت
يقة في بطنها على ولدها ، وهي معق وعقوق، وجمع العقوق هذه " عقق "
ـا التفسير هنا مأخوذ بالنص تقريبا عن الخليل.

" ابن فارس " اقتفى أثر الخليل وابن دريد في ترتيب المواد بالنسبة لحروفها
ية على شريطة أن يكون التالي متأخرا عن سابقه في ترتيب الهجاء، فتأتي
ـ كلّ حرف مع ما يسبقه من حروف فيما سبقه من أبواب.

د- **دراسة مواد المعجم :**

هذه المواد هي منهج " ابن فارس " اللغوي في معالجته مادته وعن المصادر الّتي اعتمد عليها في هذه السبل.

- **المادة الأولى** : (سبق) :

« (سبق) الباء والسين والقاف أصل واحد وهو ارتفاع الشيء وعلوه.

بسق : ناقة مبسق من نوق مباسيق، وهي الّتي وقع اللباء في ضرعها قبل أن تلد.

وبسق الشيء : طال : وبسق على أصحابه : علاهم وبسق مثل بصق ورزق.

قال الخليل : يقال بسقت النخلة بسوقا، إذا طالت وكملت، وفي القرآن « والنخل باسقات » ، أي طويلات.

- **المادة الثانية** : (بشع) :

بشع : الباء والشين والعين أصل واحد وهو كراهة الشيء وقلة نفوذه.

والبِشع : الكريه الطعم والرائحة، قال " الخليل " : البشِع تغير الفم وقال البشع طعم كريه فيه جفوف ومرارة.

والمصدر : البشع والبشاعة : قد بشع يبشع بشعا ، والطعام البشِع الّذي لا يسوغ في الحلق.

- **المادة الثالثة** : (بع) :

" الباء والعين " من أصل واحد على ما ذكره " الخليل " وهو الثقل والالحاح.

رؤ القيس :

لقى بصحراء الغبيط بعاعه ۞ نزول اليماني ذي العياب المحمّل

ويقال للرجل إذا ألقى بنفسه : ألقى علينا بعاعه، ويقال للسحاب إذا ألقى
ا فيه من المطر — ألقى بعاعه، يقال : بعّ السحاب والمطر بعّا، وبعاعا إذا لحّ
[1].

نقد المواد :

إذا أمعنا النظر تبيّن لنا أنّه يبدأ المادة دائما بالأصل، ويرجع هذا الأصل
لى "الخليل" ، ثم يشرح فروعه معتمدا على "الخليل" أيضا. لكنّه يأتي أحيانا
لم يوردها "الخليل" حيث يتصرف في اقتباساته من " العين " و"الجمهرة"،
ع الأقوال المختلفة ويختصر ويحذف الشواهد، وقد يغير العبارة، حيث كان
ب فيما ينحل مع المحافظة على المعنى، وحذف ما ينسب إلى " الليث "
ا ممّا ينسب إلى "الخليل" وزاد أشياء من عنده على أنّه خالف ترتيب الخليل
د الشواهد.

إلاّ أنّه توغل في الزيادات على "الخليل" دون أن يبيّن مصدرها، و لم تخفل
ريف فقد أتى في الصيغ بالفعل الماضي من غير عناية بمضارعه أو مصدره،

---

[1] – المرجع نفسه ص (103 – 126).

بل أعطى صيغا مبهمة في بعض الأحيان مثل : " والاسم العقيقة " فنحن لا ندري اسم الناقة يعني أم الصرف أم غير ذلك.

إلاّ أنّه في جل معانيه لم ينس "الخليل" الّذي يعتبره النبع الأول الّذي لا غنى عنه، ويتضح في المواد الآنفة أنّ "ابن فارس" كان يقدم الأصل أو الأصول ثمّ يبني عليها الفروع ويختم المادة بالشواذ في معالجته لكتابه.

4- آراء ابن فارس اللّغوية :

أ- نظرية الأصول :

يدافع " ابن فارس " في كتابه المقاييس عن فكرة الأصول الّتي أراد تطبيقها على اللّغة والبرهنة على صحتها، حيث يرى أنّ هناك علاقة متينة بين اللفظ والدلالة، سماها الأصول وهي تدل على الكلمة، حيث يحاول تغيير اللّغة بإرجاعها إلى أصول صحيحة مضبوطة.

وكان " الخليل " هو الّذي مهد له الطريق إلى استكشافها، إذ نشر في بعض مواده عبارات تشير إلى الأصول، وقد اعترف له " ابن فارس " بذلك الفضل حيث قال : " والخليل عندنا في هذا المعنى إمام " وإن كان ابن فارس هو

ب الفضل في توضيح الفكرة وجعلها نظرية ثابتة مؤيدة بالأدلة المعقولة
، يقول : " أجمع أهل اللّغة إلاّ من شذّ منهم أنّ للغة العرب قياسا، وأنّ
ب تشتق بعض الكلام من بعض وأنّ اسم الجنّ مشتق من الإجتنان.
إذن يحاول أن يرد المعاني الكثيرة المتشعبة لكلّ مادة إلى أصول تختلف من
إلى أخرى، أي صرّح بأنّ الأصول قد تتشعب إلى فروع متقاربة مثل :
ة والخاء والذال.
صل واحد : تتفرع منه فروع متقاربة في المعنى ولكن هذه الفروع جميعا
، أن تشترك في أصلها ، وبهذا تكون المادة عنه إمّا :
صلا واحدا :
: أنس ، الهمزة والنون والسين أصل واحد وهو ظهور الشيء وكلّ شيء
ن طريق التوحش قالوا : الإنس خلاف الجنّ، يقال آنست الشيء إذا رأيته .
تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾[1] ويقال آنست الشيء إذا سمعته[2].
أصلين :

---

[1] - سورة النساء ، الآية 6.

[2] - ينظر : عبد الرحمن حربوش : ابن فارس وأثره في الدراسات اللغوية ، ص 46 - 59.

مثل : أوق. الهمزة والواو والقاف، أصلان : الأول : الثقل والثاني : مكان منهبط.

3- ثلاث أصول :

مثل : حف ، الحاء والفاء ثلاثة أصول : الأول : ضرب من الصوت والثاني أن يضيف الشيء بالشيء ، والثالث : شدة في العيش، تفسير ذلك الأول : الحفيف : حفيف الشجر، وكذلك حفيف جناح الطائر، الثاني : قولهم : حفّ القوم بفلان إذا أطافوا به : قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾[1] ومن ذلك حفافا : كلّ شيء جانباه، والثالث : الحفوف والحفف : وهو شدة العيش ويبسه[2].

قال أبو زيد : (حفت أرضنا وقفت) إذا يبس بقلها وهو كالسظف.

4- أربعة أصول :

---

[1] – سورة الزمر ، الآية 75.

[2] – ينظر : ابن فارس : مقاييس اللّغة – تحقيق : عبد السلام محمد هارون – لبنان – بيروت – دار الجيل – 1991 – ج1 – ص 157.

ل : طرق، الطاء والراء والقاف أربعة أصول : أحدهما الإتيان مساءا والثاني
نرب والثالث جنس من استرخاء الشيء والرابع خصف شيء على شيء[1].

- خمسة أصول :

ل : أمر : الهمزة والميم والراء أصول خمسة : الأمر من الأمور والأمر ضد
هي ، والأمر النماء، والبركة بفتح الميم ، والمعلم ، والعجب.

فأمّا الواحد من الأمور، فقولهم هذا أمر رضيته، وأمر لا أرضاه، وفي
ل " أمر ما أتى بك"[2].

- ستة أصول :

ل : صفر الصاد والفاء والراء ستة أصول أو أوجه :

فالأصل الأول : لون من الألوان . والثاني : الشيء الخالي. والثالث :
ر من جواهر الأرض. والرابع : صوت : والخامس : زمان . والسادس :
ل[3].

الأصول الّتي لم يعدها الأصناف التالية :

- أسماء النباتات والأماكن والأعلام والألقاب.

---

[1] - ينظر المرجع نفسه ، ج2 ، ص 14.

[2] - ينظر : المرجع السابق - ص 137.

[3] - ينظر المرجع نفسه ، ج3 ، ص 294.

2- حكاية الأصوات.

3- الاتباع ، مثل : بيض " إتباع " الحيض.

4- المبهمات ، مثل : قال : الحاء والياء والتاء ليس أصلا لأنّها كلمة موضوعة لكلّ مكان : " اقعد حيث شئت ".

5-المواد المعربة : مثل : الإجاص[1].

بعد هذا العرض لنظرية الأصول أو المقاييس "لابن فارس" نخلص للقول بأنّه ابتكر شيئا جديدا ، كما يقول "د. عبد الله درويش "، إذ أنّه حاول أن يوجد لكلّ مادة من المواد معنى مشتركا يمكن إدماجه في كلّ المعاني الفرعية حقيقة أو مجازية.

وبهذا فإنّ فكرة المقاييس سيطرت عند "ابن فارس"، فقد اهتدى إلى أنّ هناك معنا أساسيا، أو أصلا واحدا أو أكثر أحيانا، مشتركا في جميع معاني المادة الواحدة ، وصيغها المختلفة، وقد تنبه لهذه الفكرة بعد اطلاعه على كتاب " العين " ، لأنّها موجودة فيه في حدود ضيقة، واتبعها " ابن فارس " ، وجعل منها نظرية عامة، طبقها بنجاح على مواد كتابه، في الثنائي والثلاثي ، غير أنّه لم ينجح في تطبيقها على الرباعي والخماسي، فاستعاض عنها بنظرية " النحت ".

---

[1] - ينظر : محمد مصطفى رضوان : العلامة ابن فارس الرازي - ص 139.

- النحت :

ذكر " ابن فارس " حيث قال : " إنّ الأشياء الزائدة مع ثلاثة أحرف
ثرها منحوت مثل قول العرب في الرجل الشديد : ضبطر : من ضبط وضبر،
بهذا إذن اختصار واختزال للكلمات والعبارات[1].

ويتعرض " ابن فارس " بأمثلة عن الألفاظ الّتي تزيد أحرفها على ثلاثة
:

المنحوت :

إمّا أن يكون من كلمتين أو ثلاثة .

من كلمتين : نحو : جذمور : إحداهما : " الجذم " وهو الأصل ، والأخرى
ر وهو الأصل، وهذه الكلمة من أدل الدليل على صحة مذهبنا.

من ثلاث كلمات : نحو : القلقع، وهو ما يبس من الطين على الأرض
لف وهذه منحوتة من ثلاث كلمات : قفع – قلع – قلف – وقد فسر[2].

---

[1] – ينظر : عبد الرحمن حربوش " ابن فارس وأثره في الدراسات اللغوية " – ص
77.

[2] – ينظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – ج 1 –ص 505.

ج/ المنحوت من كلمتين ودخلته زيادة حرف : مثل : القفندر : الشيخ، والقفندر اللئيم الفاحش، وهذا ممّا زيدت فيه النون، ثمّ يكون منحوتا من القفد، والقفر: الخلاء من الأرض، والقفد من قفدته، كأنّه دليل مهين[1].

2/ المزيد بحرف واحد :

مثل : البحضلة، وهي أن يقفز الرجل قفزان اليربوع،

الحرف الزائد هو الحرف الأول : (الباء)، قال الخليل : الحاضل : الّذي يمشي في شقيه .

الحرف الزائد هو الحرف الثاني : مثل : البرغثة ، الراء فيه زائدة، أي الابعث من طير الماء كلون الرماد، فالبرغثة : لون شبيه بالطلحة.

3/ المزيد بحرفان :

وهو قليل مثل : احرنجمت الإبل، إذا ارتد بعضها على بعض واحرنجم القوم إذا اجتمعوا[2].

*إذن إن فكرة النحت عند " ابن فارس " ليست قائمة الذات مستقلة بنفسها، إنّما هي تابعة لفكرة الأصول الّتي نادى بها هو نفسه ومكملة لها.

---

[1] - ينظر: المرجع نفسه ج 5 – ص 116.

[2] - ينظر : المرجع السابق – ص 150.

كلّ هذا نقول أن نظريتي " ابنِ فارس " في الأصول والنحت تدلاّن على
ع وقوة منقطعة النظير، في كيفية معالجة اللّغة وممارسة صعابها حتّى تسهل
أسرارها.

صائص المقاييس :

ختصار : اشتهر " ابن فارس " بميله إلى الاختصار أي الاقتصار على
ر من الشواهد، وتركه بعضها، حتّى ظهرت مادته صغيرة قصيرة، وعدم
بعض الصيغ مثل : (طسأ) و(الضيزى) و(الأدر) وغيرها.

عرضه للحروف والأدوات، في مواده إلاّ نادرا، وذلك ربما يعود إلى عدم
ا ، فلا مناسبة بينها وبين ما يريد بهذا الكتاب.

از : اهتم " ابن فارس " بالعبارات المجازية حيث نبه عليها، وصرح بأنها من
ـ " أو " المستعار " أو " المشبه " ، وقد يضعها في آخر المادة.

عن المستعار في آخر مادة (رجل) : " فأمّا قولهم ترجل النهار إذا ارتفع ،
ن الباب الأول كأنه استعارة أي أنّه قام على رجله ".

دد الأقوال في المواد : جعل ابن فارس مواد كتابه المقاييس تحوي أقوالا
ة لكثير من اللغويين الّذين يقتبس منهم خاصة : "الخليل" ، "ابن دريد" ،
السكيت" مشيرا إلى فضلهم في خطة معجمه.

* **الدّخيل** : يبيّن " ابن فارس " أنّ الدخيل خارج عن أصوله الّتي لا ينقاس لها إلاّ اللفظ العربي الصميم وكان يحكم بالتعريب وينبه أحيانا عن اللّغة الّتي عرب اللفظ منها.

* **اعتماده على الترتيب الألفبائي** : ومبدأ التقاليب السائدة وأخذه بمبدأ الأصول.

* **الأعلام ولغات القبائل** : لا يهتم " ابن فارس " بلغات القبائل وذلك يرجع إلى عدم اتصالها بالهدف الّذي يرمي إليه، فقد شك في كثير منها، وخاصة ما نسب إلى اليمن، لعدم اتساقه مع أصوله[1].

6- نقدها :

كان ابن فارس يرمي إلى الإيجاز واختصار كلام العرب، لكنه عدل عن ذلك إذ كرر اللفظ الواحد عدة مرات لتعدد معانيه، مثل : مادتي (عوهج)، (عهق).

وسرد بعض الألفاظ بسند طويل برواياتها ، وكان أحرى به أن يكتفي بسرد المراجع في كتاب الهمزة، ولا يطيل في عنعنات لا جدوى منها.

---

[1] – ينظر : محمد مصطفى رضوان : العلامة ابن فارس ص (153 – 159).

واقتصر تفسيره أحيانا على كلمة أو كلمتين لا توضحان المعنى وضوحا
ا، وتركه في بعض الأحيان، كما في المواد : أدر، حيض...

اختلطت الأبنية على " ابن فارس " فوضع الثلاثي الأجوف، واللفيف،
كون من حرفي علة مختلفين في أبواب الثنائي المضاعف مثل : (آء) وضعها بعد
ى) ، و(داء) بعد (دو).

ووضع الرباعي في أبواب الثلاثي مثل : (جرجم).

ثنائي في الثلاثي مثل : (جو) وضعها بعد (جون). وخلط بين المعتلّ والمهموز
ضع (بوس) في (بؤس) ، وحاول التفريق بين كلّ حرف من حروف العلة
ه خلط بينها ، مثل : الحاء والفاء، وما بعدهما معتلا، أو الباء والعين والواو
باء....[1]

وبهذا نرى أنّ " ابن فارس " اقتصر فيما أورده من كلام العرب على ما
ح عنده سماعا وعلى ما أخذه من كتاب صحيح النسب مشهور.

فقد كان ناقدا لغويا دقيقا ، ينظر في توثيق ما يأخذه من لغة العرب
ة حصيفة وقد يضطره ذلك لنقد العلماء، "كابن دريد" الّذي تعرض له في
ن المواد.

---

[1] – ينظر : ابن فارس – مقاييس اللغة – ج 2 – ص 447.

7- الفرق بين المجمل والمقاييس :

يبدوا أنّ المجمل والمقاييس يتفقان في أكثر موادهما وصيغهما لكنهما يختلفان في أكثر الظواهر البارزة فيهما، لاختلاف الفكرة الّتي يقوم كلّ منهما واختلاف منهجيتهما تبعا لذلك.

فالمجمل يتفوق على المقاييس في العناية بالأعلام في كلّ مادة والمقاييس يتفوّق على المجمل في أكثر من ظاهرة وهي :

- هو أميل إلى ترتيب المادة بحسب الأصول الّتي تنقسم إليها معانيها.
- أشدّ اهتماما بالأقوال المختلفة الّتي أدلى بها اللغويون في كل لفظة.
- أكثر إيرادا للشواهد والأمثال واستقصاء للأخيرة منها.
- أكبر عناية بالعبارات المجازية والتعبيرات الخاصة والمعاني الفرعية.
- أعظم اهتماما بنقد الألفاظ وإبانة زيفها وصحيحها.
- أنضج حكما في كلّ ذلك.

* " ابن فارس " لم يعني بالأعلام في مقاييسه وذلك لأنّه لم يكن يدخل الأعلام في أصوله.

*إذن المجمل أكثر عددا في مواده من المقاييس، وأمّا ما عدا ذلك من المواد فقد جاء بالكتابين معا، بترتيب واحد في الغالب، ولعلّ السبب في قلة المواد بالمقاييس عنها بالمجمل، راجع إلى المؤلف، حيث أنّه كان يختار المقاييس من المواد ما تنطبق

ظرية الاشتقاق، الّتي قصد إلى توضيحها فيه. على أنّه في المجمل لم يكن ، إلى تفسير، رأي لغوي خاص، بل كان يجمع المواد الصحيحة ويرتبها به طريقته المعروفة، ثمّ يشرحها على نظامه المتبع.

ظر يلمس القوة في المجمل، حيث حاول " ابن فارس " الكلام في الاشتقاق يحاوله في ضعف والتواء، ويترك بعض مسائله في اللّغة، على حين ينقدها اييس نقدا شديدا[1]. ومن هنا يتضح لدينا أنّ ابن فارس ألف المقاييس بعد ، بزمن، ثمّ "الصاحبي" بعد ذلك . إلاّ أننا نجد الناس مالوا إلى المجمل أكثر لمقاييس، وعنوا به أجلّ عناية، وبهذا نستخلص أنّ نظرية "ابن فارس" في ب المعجمي نظرية مبتكرة، لم يسبق إليها فهي من أقوى الأدلة الناطقة على از به "ابن فارس" من القدرة اللّغوية، الفائقة والعمق في التفكير المنتج لخدمة ..

قد المعجم :

إنّ المقاييس معجم خاص يدافع عن فكرة بعينها تشكل منهجه، لقد "ابن فارس" فكرة المادة والمنهج الّتي استفادت منها المعاجم العربية، حيث

[1] - ينظر المرجع السابق - ص 118.

جاء بفكرة التقاليب للمرة الأولى، ونظم الأبواب تنظيما يكاد يكون محكما، وعالج فكرتي الأصول والنحت اللتين استفاد منهما كلّ من (الصغائي) في كتابه العباب، و(السيد مرتضى الزبيدي) في التاج.

كان "ابن فارس" يصرح أحيانا بأسماء من ينقدهم من رجال اللّغة وفي مقدمتهم "الخليل بن أحمد" ، مرجعه الأول.

ومهما يكن ، فالملاحظ في المقاييس صعوبة الترتيب على الرغم من اتباعه طريقة " الألفاظ " ، ولعلّ هذه الصعوبة راجعة إلى آثار المدرسة الأولى الّتي لم يستطع ابن فارس التخلص منها، كإلزامه البدء بالحرف حين يتألف مع ما بعده.

واختلطت عليه الأبنية خاصة في أبواب الثنائي المضاعف.

واضطرب في تقسيم المواد حسب أصولها ، ولعلّه لو جعل لكلّ قسم منها رقما يساير موضوع أصل ما اضطرب.

وعلى هذا النهج تسير المعجمات الغربية الحديثة، والمعجم الكبير للمجمع اللغوي، ومثله إلى الاختصار كان السبب الّذي أوقعه في عدم شرح بعض الألفاظ وعدم نسبه ما يقتبسه إلى صاحبه، وتصرفه فيه وإن حافظ على المعنى.

ن هنا نرى أنّ نظرية " ابن فارس " بدائية لا تسلم من النقد، ولا ترتكز على
س علمي واضح، لكنها على كلّ حال قد اشتهرت، وجذبت حولها كثيرا
الأنصار الّذين أيدوها في مواقف عديدة، والّذي كان له أثره عند الباحثين في
ل اللّغة، وكيفية نشأتها.

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ " ابن فارس " سار في تأليف كتبه خلافا
ما سبقه من اللغويين ، وذلك بغية الكشف عن مزيد من خصائص اللّغة
بية.

وعليه فقد امتاز بين لغوي القرن الرابع الهجري ، بأنّه أراد ترتيب تلك
كوام من المواد اللّغوية المستخرجة من أكداس النصوص الشعرية والنثرية الّتي
الاختلاف وتعددت الأقوال بنشأتها وتنوعت بإيزائها المذاهب إلى درجة
لت الإحاطة بها تكاد تكون مستحيلة، ولا يمكننا إلاّ أن نعجب بقوة ابن
س بما كابده من العناء والجهد قصد جعل فكرته تنطبق على اللّغة كلها.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنّ " ابن فارس " أورثنا مجدا لغويا خالدا،
ث احتفظ لنا بالضاد قوية صحيحة واضحة وستبقى كذلك إن شاء الله.

ومن هنا نرى أنّ نظرية " ابن فارس " بدائية لا تسلم من النقد، ولا ترتكز على أساس علمي واضح، لكنها على كلّ حال قد اشتهرت، وجذبت حولها كثيرا من الأنصار الّذين أيدوها في مواقف عديدة، والّذي كان له أثره عند الباحثين في أصل اللّغة، وكيفية نشأتها.

من خلال ما سبق يتضح لنا أنّ " ابن فارس " سار في تأليف كتبه خلافا عن ما سبقه من اللغويين ، وذلك بغية الكشف عن مزيد من خصائص اللّغة العربية.

وعليه فقد امتاز بين لغوي القرن الرابع الهجري ، بأنّه أراد ترتيب تلك الأكوام من المواد اللّغوية المستخرجة من أكداس النصوص الشعرية والنثرية الّتي كثر الاختلاف وتعددت الأقوال بنشأتها وتنوعت بإيزائها المذاهب إلى درجة جعلت الإحاطة بها تكاد تكون مستحيلة، ولا يمكننا إلاّ أن نعجب بقوة ابن فارس بما كابده من العناء والجهد قصد جعل فكرته تنطبق على اللّغة كلها.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنّ " ابن فارس " أورثنا مجدا لغويا خالدا، حيث احتفظ لنا بالضاد قوية صحيحة واضحة وستبقى كذلك إن شاء الله.

معجم " سرّ صناعة الإعراب "
عند أبي الفتح عثمان بن جنّي.

1-التعريف بابن جنّي :

هو أبو الفتح عثمان ابن جنّي، الموصلي النحوي اللغوي، ولد في " الموصل " وذلك في 330 هـ ولم يعينوا مولده بعد هذا، نشأ بن جني في الموصل، وتلقى مبادئ التعلم فيها، كان أبوه عبدا روميا مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي، وفي شعر "أبي الفتح" ما يؤكده أنّ أصله رومي، فقد قال :

قياصرة إذا نطقوا ۞ أرّم الدّهر ذو الخُطَبِ

وجني تكتب بالحروف اللاتينية « gennaius » ومعناها، كريم ونبيل، جيد التفكير، وعبقري[1] كان ابن جني " أسفر اللون أعورا ومن عادته في الحديث فيما زعم بعض من يتحدث عنه، أنّه يميل بشفتيه ويشير بيده ويبدو أنّ مرد هذه العادة عنده، إذا صح استنادها إليه – ما في خلقه من توكيد المعنى في نفس السامع وتسديده، وهذا أمر باد في كتبه، فهو يميل دائما إلى الإطناب والتكرار والتوسل إلى الاقتناع بكلّ ما في وسعه وعلى ذلك قالوا : « رب إشارة أبلغ من عبارة ». " ابن جني " كان رجل جدّ وصدق في القول والفعل ، فلم يؤثر عنه ما أثر عن أمثاله من رجال الأدب في عصره من اللهو والشرب والمجون، حيث كان عف اللسان والقلم ومن شيوخه الّذين أخذ عنهم النحو نجد : "

[1] – ينظر : ابن جنّي الخصائص – ج 1 – ص 07 – 08 – 09.

مد بن محمد الموصلي – أبي الفرج الأصبهاني وأبو عبد الله بن محمد العقيلي ميمي المعروف بـــ عبد الله الشجري. هذا الأخير كان ابن جنّي ممن يثق بلغته بأخذ عنه أكثر من غيره[1].

أنّه صحب " أبا علي الفارس " أستاذه أربعين سنة، حين كان " ابن جنّي " لهر من التعلق به والتقبل برأيه والانتفاع بعمله أحسن ما يظهر تلميذ لأستاذه، د خلّف " ابن جنّي " كتبا تدل على فضله الجم وعلمه الغزير ، منها: نصائص – سر صناعة الإعراب – وألقى عصا التسيار في هذه الحياة في يوم ميس 27 صفر سنة 392 هـــ ببغداد حيث دفن في مقابرها.

– أصل اللّغة عند ابن جنّي :

بلغ أبو " الفتح " في علوم العربية من الجلالة ما لم يبلغه إلاّ القليل ، وقد صح " ابن جنّي " مجرى القرون ومضرب المثل في معرفة النحو واللّغة، حيث ل فيه " الثعالبي " : "هو القطب في لسان العرب وإليه انتهت الرياسة في الأدب

[1] – ينظر : المرجع نفسه – ص 247.

كان له أثر محمود عند جمهور العلماء والأدباء والباحثين والمشتغلين باللّغة العربية وفقهها ، والمعنيين بأصول اللغات ، بل إنّه فتح أفاقا جديدة للبحث ، ومن ذلك نجد كتابه الخصائص الّذي يعتبر من الكتب اللّغوية القيمة الّتي أقر المجلس الأعلى في إحيائها.

حيث يتناول في هذا الكتاب موضوع اللّغة وأصلها ، حيث يقول : " أمّا حدها فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، هذا حدها " . وذكر هذا في باب القول على اللّغة وما هي ؟ ، أمّا اختلافها فذكره في باب القول على أصل اللّغة أ ألهام أم اصطلاح ؟

* باب القول على أصل اللّغة أإلهام أم اصطلاح ؟

كان " ابن جنّي " مترددا بين مذهبي الاصطلاح والتوقيف، وإن كان يميل على ما يبدوا إلى مذهب الاصطلاح ، بل إنّه يقيل قول من قال ، أنّ أصل اللغات كلها من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس...الخ.

والحق أنّ " ابن جنّي " لم يكن أول من قال بالمواضعة والاصطلاح، بل ، فقط عن غيره من العلماء حيث قال : " أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللّغة تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف."[1]

على أنّه عاد فمال إلى رأي التوقيف فقال : " فقوي على نفسي اعتقادا ها توقيفا من الله تعالى وأنّها وحي ." [2]

ثم يعود ويعارض رأي القائلين بالتوقيف ، ويفسر ذلك حيث يقول : " بد بأن يكون لأصل اللّغة من المواضعة، إذ كيف أنّ الله علم آدم أسماء جميع لوقات بجميع اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثمّ إنّ ولده تفرقوا في يا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات"[3].

ويذكر " ابن جني " عن بعض أنصار مذهب المواضعة ، أنّ اللّغة لا ن وحيا وأنّ أصلها لا بد فيه من المواضعة والاصطلاح، واستدلوا على ذلك ا يحصل بين الحكماء على الاتفاق على تسمية الأشياء وتعيين ألفاظ تعرف ثم ينتقل هذا ويذاع بين الناس، ومن ذلك ما نشاهده الآن من اختراعات ناع للآلات من الأسماء، كالنجار، والصائغ...وأصحاب هذا الرأي لا

---

[1] – ينظر : إبراهيم السامرائي : فقه اللغة المقارن – ص 7.

[2] – ابن جني : الخصائص – ج 2 – ص 48.

[3] – ابن جني : الخصائص – ج 1 – ص 40.

ينسبون إلى الله المواضعة على اللّغة لأنّها تحتاج إلى إماء وإشارة، وهو جل وعز ليس له جارحة تومئ وتشير لكنهم جوزوا أن ينقل الله تعالى اللّغة الّتي وقع التواضع عليها بين عباده[1].

3- نقد رأي ابن جني في أصل اللّغة :

يتراءى لنا أنّ " ابن جني " كان حائرا، مترددا لا يكاد يستقر على أمر فهو يذهب إلى الرأي القائل بأنّ اللّغة اصطلاحية ويستدل عليه، فيقول : " إنني إذا تأملت حال هذه اللّغة الشريفة الكريمة اللطيفة، وجدت بها من الحكمة والدقة والإرهاف والرقة، ما يملك على جانب الفكر، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه وتعالى وأنها وحي". ثم يقول : " كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا، وإنّ بعد مداه عنا من كان ألطف منا أذهانا وأسرع خواطر وأجرؤ جنانا، فأقف بين الخلتين حسيرا وأكاثرها فأنكفأ مكثورا"[2].

وكأنه بهذا أخذ بالرأيين معا، رأي التوقيف ورأي الاصطلاح بل إنه لا يستطيع ترجيح أحدهما على الآخر.

4- دراسة كتاب " سرّ صناعة الإعراب ":

---

[1] - ينظر : محمد مصطفى رضوان ، العلامة ابن فارس الرازي - ص 230-

[2] - ابن جني : الخصائص - ج 1 - ص 46.

تعرض " ابن جني " في مقدمة هذا الكتاب إلى أنّ صاحب المنـــزلة
فيعة الذي طلب منه أن يصنف له هذا الكتاب، حدد له موضوعه حين رسم
أن يضع كتابا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف
ا، وكيف مواقعه في كلام الغرب، فاستجاب " أبو الفتح " لطلبه، وانتهى إلى
أراد وذلك بذكر أحوال الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها ،
حكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها، وصحيحها ومعتلها ، وغير
ك من أجناسها، وذكر الفرق بين الحركة والحرف، وبعد أن أتى على هذه
دمة أفرد لكل حرف من حروف العربية التسعة والعشرين بابا ، ذكر فيه
اله، وتصرفه في الكلام، وزاد عليه أن عقد في آخر الكتاب بعد أن انتهى من
سة حرف الياء، ثلاثة فصول.

خصّص الأول منها في البحث عن تصريف حروف المعجم، واشتقاقها
عها، وبحث في الثاني مذهب العرب في مزج الحروف بعضها ببعض وما يجوز
ذلك، وما يحسن وما يقبح، وما يصح ، وتناول في الثالث إفراد الحروف في
ر ، فموضوع الكتاب منصبّ على ما يسمى بحروف المباني دون حروف
ني ، على أنّ هذا لم يمنعه من التعرض لحروف المعاني المفردة.

وبهذا نراه قد كشف النقاب عن الجوانب الّتي سيتناول من خلالها هذه الحروف، فهو سيبحثها من حيث أصالتها وزيادتها، وإبدالها ، وهذه أهم مباحث علم التصريف[1].

وبالتالي نستشف أنّ الموضوع الرئيسي للكتاب هو الدراسة التصريفية لحروف المعجم، وما عدا ذلك من الدراسة الصوتية وبعض قضايا الاشتقاق والعروض الّتي اقتضتها ضرورة البحث في خاتمة الموضوع الأساسي.

أ- **سبب تأليفه** :

يرجع سبب وضع الكتاب إلى أنّ رجلا " ذا منـــزلة عالية في عصر " ابن جني " هو الذي طلب منه ذلك، ولم يذكر " أبو الفتح " ما يدل على اسم الرجل ، واكتفى بوصفه بمناصرة العلم وأهله، واقتفاء لآثار أسلافه الأطايب، ولم يذكر اسمه إلا على الصفحة الأولى من نسخة شهيد علي باشا ، ما نصه : " كتاب سر صناعة الإعراب صنعة الشيخ أبي الفتح عثمان بن جني رحمه الله".

اشتهر الكتاب باسم " سر صناعة الإعراب " وهو الاسم الذي أثبت على الصفحة الأولى، حيث لو اكتفى بتسميته باسم " سر الصناعة " ، قد يثير

---

[1] - ينظر : ابن جني : سر صناعة الإعراب – سوريا – دمشق – دار القلم – 1985 – ط 1 - ص 17 – 19-

لذا الاسم في عقل القارئ معنى لا يريده " ابن جني" ، فقد اشتهر بين القدماء طلاق لفظي الصناعة والصنعة على عمل الكيمياء.

وهو لفظ كان يكتنفه في القرن الرابع كثير من الغموض والشبهات وما ل ذلك مما لا يحب " ابن جني " أن ينسب إليه، فالكتاب خاص ، يبحث روف المعجم من الناحية الصوتية والتراكيب اللّغوية ، و" ابن جني " لو اقتصر ، التسمية على " سر الصناعة " ، لكانت تسمية حسنة، ولما اعترض عليه، وأما لهم أنّ المؤلف أضاف كلمة الإعراب لأنه كان يرى أن الإعراب ، اسم يشمل عراب وغيره ، وبذلك جوز لنفسه هذه التسمية على كتابه الواسع، ليسلم أليف والمؤلف من الغموض فلم يوردوا أية حجة تكون برهانا على صحة هذه عوى ، لأنّ " ابن جني " قد اشتهر بالاحتياط الشديد في كل ما يبحثه[1].

نخلص من هذا كله إلى الاقتناع بأنّ " ابن جني " كان صائبا في اختيار سم " سر صناعة الإعراب ، " لهذا الكتاب، فهو يدل على موضوعه دلالة دقيقة إذ لم يكن المؤلف يعني بصناعة الإعراب إلاّ صناعة الكلم أي ما يحدث فيها ، الإعلال والإبدال ، وأحوال الحرف إذ كان أصليا أو زائدا . ونحو ذلك من سائل التصريف ، ويبقى المعنى هو الحكم في هذه المسألة.

[1] - ينظر : ابن جني : سر صناعة الإعراب – ص 20.

ب- منهجه :

ابن جنّي قدّم لكتابه دراسة مفصّلة لأصوات العربيّة ، وجعلها مدخلا لدراسة قضايا التّصريف ومسائله ، وهذا لا يعني أنّ " المنهج الصّوتي " هو المنهج الوحيد الذي سلكه "ابن جنّي" في هذا الكتاب ، فهو إن استطاع أن يفوق معاصريه فإنّه يبقى ابن العصر الذي عاش فيه ، فقد كان شيخه " أبو عليّ الفارسي " يُعلي شأن القياس ، ويفخر بحذقه له ، في قوله : " وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف ، فمتى تجاور مخرجا الحرفين فالقياس ألاّ يأتلف"، وانتهى " ابن جنّي " إلى أنّ الحروف في التّأليف على ثلاثة أضرب :

- تأليف المتباعد وهو الأحسن.
- تضعيف الحرف نفسه.
- تأليف المتجاورة.

إلاّ أنّ " ابن جنّي " كان يبتعد أحياناً عن المنهج الصوتي في تفسير ظواهر اللّغة ، ويلجأ إلى أصول ومقاييس في الوقت الذي يكون التحليل الصوتي هو السبيل الوحيد لتعليل التغيّرات. ففي تفسير ظاهرة الإبدال نرى أنّ " أبا الفتح " يضع مقياساً عاماً يبيّن لنا قبل كلّ شيء متى يكون في الكلمة إبدال، ومتى تكون أحرفها كلّها أصلية لما يوضع فيها حرف مكان حرف آخر ، حيث يقول: "إذا ورد في بعض حروف الكلمة لفظان مستعملان فالوجه صحيح

ضاء أن نحكم بأنّ كليهما أصلان منفردان ليس واحد منهما أولى بالأصلية من احبه، فلا تزال على هذا معتقدا له حتّى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين صاحبه وهذا عيار في جميع ما يرد عليك من هذا، فاعرفه وقسه تصب إن ء الله ".

ويتلخّص هذا الأصل في : " أنّ أصل القلب في الحروف إنّما هو فيما رب منها مثل : الدّال والطّاء والتّاء ، والذّال والضّاد والثّاء ، والهاء والهمزة ، يم والنّون ، وغير ذلك ممّا تدانت مخارجه "[1].

هذان النصّان يضعان أيدينا على حقيقتين أساسيتين في نهج المؤلف ، الذي ه هذا الكتاب :

الأولى : أنّ المقياس الأوّل في الإبدال هو استعمال العرب ، فإذا ورد عن ب لفظان بمعنى واحد ، وقد اتفقت حروفهما ما عدا حرفاً واحدا فينبغي أن إلى مدى استعمالهما في كلام العرب ، فإذا تساويا في الاستعمال كان كلّ ما أصلا قائما بنفسه ، وذلك كقولهم (زمزمة) و(صمصمة) ، فليست " ي " بدلا من " الصاد" ولا " الصاد " بدلا من " الزاي ". وإذا كان أحد لين أكثر استعمالا من صاحبه فهو أصل لا إبدال فيه ، وثانيهما فيه إبدال

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 39.

وذلك " كالذال " و"الظاء" في قولهم : " تركته وقيذا ووقيظا " ، فالوجه فيهما أن تكون " الظاء " بدلا من " الذال " لقوله عزّ اسمه : ﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾ بالذال ولقولهم: وقذه ، يقذه ، ولم أسمع وقظه ولا موقوظة ، فالذال إذن أعمّ تصرّفا لذلك قضينا بأنّها هي الأصل ".

- الثانية : إنّ تقارب الحروف شرط لإبدال بعضها من بعض ، فإذا اختلف مخرجا الحرفين فيجب أن يكون كلّ منهما أصلا ، هذا إذا كان اللّفظان بمعنى واحد ، فإذا كان لكلّ منهما معنى يختلف عن معنى صاحبه ، فينبغي أن يحكم بأصالتهما ، وإن تقارب الحرفان في المخرج أو اشتركا في الصفحة ، كالفاء في " الفوم " والثاء في " الثوم " فليست الفاء بدلا من الثاء ، لأنّ الفوم هو الحنطة ، وليس بمعنى الثوم [1].

هذه أمثلة من تفسير " ابن جنّي " لما يسمّى الإبدال اللّغوي ، نلحظ فيها أنّ التفسير الصوتي ركن أساسيّ في الاستدلال على أصالة الحرف أو إبداله من غيره.

---

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 37.

وإذا انتقلنا إلى الإبدال التصريفي رأينا هذا المنهج أشدّ وضوحا وأكثر
وزا ، وذلك كقوله في تفسير إبدال تاء " افتعل " دالا ، إذا كانت فاؤه زايا ،
ر : ازدجر.

- **الترتيب المعجمي** :

إنّ موضوع كتاب " سرّصناعة الإعراب " هو حروف المعجم ،
لحروف ترتيبان هما :

ترتيبها بحسب المخارج ، وهو الترتيب الذي بنى عليه أصحاب المعجمات
مّفاهم في اللّغة ، كالخليل في كتاب " العين ".

ترتيبها على النحو التالي : فهي تسعة وعشرون حرفا أوّلها الألف ، وآخرها
ء على المشهور من ترتيب حروف المعجم : أ- ب- ت- ث- ج- ح- خ-
د- ذ- ر- ز- س- ش- ص- ض- ط- ظ- ع- غ- ف- ق- ك- ل- م-
ن- و- لا- ي.

وهو الذي كان مشهورا بأيدي الناس في حياة " ابن جنّي " ، وهو
ترتيب الذي آثره فبوّب كتابه بحسبه. فهو يبدأ أوّلا بذكر صفة الحرف من
ث الجهر أو الهمس ، ويبيّن استعماله في الكلام من حيث الأصالة والبدل
زيادة ، فيذكر لكلّ موقع مثالين أحدهما اسم والآخر فعل ، ما عدا باب
نزة ، فقد زاد فيه عن المثالين ، ويعقبه بذكر الحروف ، الّتي أبدل هذا الحرف

منها وبعد ذلك يعرض مواضيع زيادته ، وفي مطلع باب الهمزة يشرح معنى الأصالة والبدل والزيادة ، ثمّ يعود " ابن جنّي " ويرتّب الحروف على حسب مذاقها وتصعّدها وهو الصحيح ، فأمر ترتيبها في كتاب " العين " فيه اضطراب ومخالفة وهي كالآتي : الهمزة – الألف – الهاء – العين – الحاء – الغين – الخاء – القاف – الكاف – الجيم – الشين – الياء – الضاد – اللاّم – الرّاء – النون – الطاء – الدال – التاء – الصاد – الزاي – السين – الظاء – الذال – الثاء – الفاء – الباء – الميم – الواو.

وهذه الحروف التسعة والعشرون قد تلحقها ستّة أحرف ، تتفرّع عنها حتّى تكون خمسة وثلاثون حرفا وهي : النّون الخفيفة (الخفية) – الهمزة المخففة ، ألف التفخيم ، ألف الإمالة ، الشين الّتي كالجيم ، والصاد الّتي كالزّاي[1].

د- **تبويب المعجم :**

أوّلا : باب الهمزة : يقول : " العلم أنّ الهمزة حرف مجهور وهو في الكلام على ثلاثة أضرب: أصل ، جدل ، زائد. قولنا :

* أصل : أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه.

---

[1] – انظر : المرجع نفسه ، ص 33 – 45.

ئد : أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه ولا لامه.

لبدل : أن يقام حرف مقام حرف إمّا ضرورة ، وإمّا استحساناً وصنعة ، كانت أصلاً وقعت فاءاً وعيناً ولاماً.

، نحو : أنف — أذن — إبرة — أخذ ...الخ.

ن نحو : فأس — رأس — ذئب — سأل...

م نحو : قرءٌ — خطأ — نبأ — وقرأ.

وليس في الكلام كلمة فاؤها وعينها همزتان ولا عينها ولا لامها همزتان بل قد جاءت أسماء محصورة ، وقعت الهمزة فيها ، فاء ولام ، مثل : آدة ،

واعلم أنّ موضع زيادة الهمزة أن تقع في أوّل نبات الثلاثة فمتى رأيت فمتى رأيت ثلاثة أحرف أصولا ، وفي أوّلها همزة ، فاقض بزيادة الهمزة ن ن الاشتقاق في تلك اللفظة أو جهلته ، حتّى تقوم الدّلالة على كون الهمزة وذلك نحو : أحمد — أصفر...

: باب الباء : الباء حرف مجهور يكون فاءاً وعينا ولاما.

فالفاء نحو بئر ، بحث.

والعين : صبر ، شجع

اللاّم : ضرب ، قرُب. ولا تستعمل زائدة.

ثالثا : باب التّاء : التاء حرف مهموس ، يستعمل في الكلام على ثلاثة أضرب : أصلا – بدلا – وزائدا.

فإذا كانت أصلا ، وقعت فاءاً ، وعينا ولاماً ، فالفاء نحو : تـــمر وتنأ ، والعين نحو: فتر ، وقتل ، واللاّم نحو : فخت ونخت[1].

فإذا جُهل الاشتقاق لجأ " أبو الفتح إلى القياس للحكم على أصالة الحرف أو زيادته من ذلك قوله في التاء والنون " اعلم أنّ للتاء ميزاناً وقانوناً يعرف به عن طيق القياس ، كونها أصلا أو زائدة ، فإذا عدمت الاشتقاق في كلمة فيها تاء أو نون ، فإنّ حالهما فيما أذكره لك سواء ، فانظر إلى التاء أو النّون ، فإذا كان المثال الذي هما فيه أذو إحداهما على زنة الأصول بهما ، فاقض بأنّهما أصلان ، وإن لم يكن المثال الذي هما فيه بهما أو إحداهما على زنة الأصول ، فاقض بأنّهما زائدتان ...".

وبعد الحديث عن " زيادة الحرف " يشير إلى "حذفه"، إن كان الحذف قد وقع فيه.

---

[1] – المرجع نفسه – ص 105 – 119 – 145.

هذه هي القضايا الأساسية الّتي كرّرها المؤلّف في كلّ حرف ، فهي مود الفقري لكلّ باب من أبواب الكتاب ، وأمّا ما عداها من المسائل فإنّما طرد إليها استطراداً.

نخلص من هذا القول : أنّ مادّة الكتاب الأصلية هي الإعلال والإبدال يادة والحذف ، وهذه أهمّ مباحث علم التّصريف.

خصائص الكتاب :

السهولة والوضوح : أسلوب " ابن جنّي " في دراسته التصريف يندرج في ، السّهل الممتنع ، فهو يعالج قضايا اللّغة ، بعبارة سهلة يسيرة ، بعيدة عن قيد ، يشوّق القارئ إلى المتابعة ، ويغريه بالاستمرار ، وهو أمر نفتقده عند لم دارسي اللّغة ، فأسلوبهم يشيع فيه الجفاف ، وعباراتهم يغشّيها الغموض ، ذا مثال يدلّ على وضوح عبارة " أبي الفتح " قال معلّلا إبدال الدال من تاء ، ل : " وأمّا البدل فإنّ فاء افتعل إذا كانت زايًا قلبت التاء دالاً ، وذلك نحو جر ، وازدهر.

- **غزارة المادة** : " فابن جنّي " زخر بفيض ممّا ورثه عن أسلافه من مادة يّة متنوّعة ، فتراه حين يعرض ظاهرة من الظواهر ، ويشرع في تفصيلها ، ق ما حفظه من الآيات الكريمات ، وشواهد الشعر ، وكلام العرب ، على

نحو يخل من يطّلع عليه أنّ الرجل قد حفظ كلّ ما قيل في القضيّة الّتي يعالجها. إنّ شواهد الشعر الّتي ضمّنها الكتاب بين صفحاته تزيد عن سبعمائة بيت.

ج- **الشمول والاستقصار** : تناول " ابن جنّي حروف العربية التسعة والعشرين فدرسها دراسة صوتية تصريفية ، وعرض في ثنايا الأبواب مسائل نحوية كثيرة كان يشح بعض قضايا اللّغة كالاشتقاق.

وقد جاء كتابه جامعاً لعلم التصريف ، ما عدا الإدغام ، ولم يرتّب كتابه أبواب التصريف المعروفة ، وإنّما بوّبه تبويبا آخر ، فبناه على ترتيب حروف المعجم. فكان الكتاب بهذا التنظيم أوسع من كلّ ما كتب في هذا الفنّ ، فقد استوعب حروف البدل ، والزيادة والإعلال الّتي اعتاد الصرفيون أن يبنوا كتبهم عليها ، وزاد عليها ما قيل في بقية حروف العربيّة.

حيث وعد " أبو الفتح " أنّ يتجنّب الإسهاب والإطالة ، وأنّه سيتّبع كلّ حرف من حروف المعجم الّتي هي موضوع هذا الكتاب ، ممّا رواه عن حذّاق أصحابه.

جاء كتاب " ابن جنّي " مرآة تعكس ما كان يتمتّع به هذا الألمعي من ثروة لغوية طائلة ، وعلم غزير ، وإتقان لمسائل التصريف ، والاستقصاء ، وملكة نادرة في التحليل ، وموهبة فذّة في التعليل ، فاستحقّ أن يكون إمام هذا العلم ، واستحقّ كتابه أن ينـــزل منـــزلة سامية عند علماء العربيّة والمشتغلين بها.

د الكتاب :

النّاظر في كتاب " أبي الفتح " يرى نفسه أمام رجل يعدّ طودا شامخاً في ، يفسّر ظواهر التصريف واللّغة والأصوات والنّحو ، تفسير المتمكّن المتقن في كلّ فنّ من فنون العربيّة.

إنّ الألف الّتي في أوّل المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة ، وإنّما كتبت زة " "واوا" مرّة و "ياء" مرّة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف أُريد تحقيقها البتّة لوجب أن تكتب ألفا إذا وقعت أوّلا نحو : أخذ – أخذَ اهيم ، فلمّا وقعت موقعا لا بدّ فيه من تحقيقها حيث وجدت في بعض حف " يستهزؤون " بالألف قبل الواو فيها. الهمزة مثل غيرها من الحروف ا انقلابها أدلّ دليل على كونها حرفا ، وإنّ واضع حروف الهجاء ، لما لم أن ينطق بالألف الّتي هي مدّة ساكنة لأنّ السّاكن لا يمكن الابتداء به ، ا باللاّم قبلها متحرّكة ، ليمكن الابتداء بها فقال: " هـــ- و- لا- ي" : " لا " بزنة " ما " و" يا " ، ولا تقل كما يقول المعلمون " لام ألف ".

وقد اجتنب " ابن جنّي " الإسهاب والإطالة إلاّ فيما تضمّن نكتا أو دفينة. نراه يستشهد بالآيات ، والحديث الشريف ، وكلام العرب شعرا ، بلهجاته المختلفة وأقوال النحويين واللّغويين ، ويردّ آراءهم ، ثمّ يناقشها تبعد منها ما لا يقنع به ممّا لا دليل يشهد له ، ولا قياس يعضده ، ويفنّد

مذاهبهم بما وهبه الله من ملكة نادرة وعلم جمّ غزير ، وقدرة عجيبة على التحليل والتعليل والترجيح والاستنباط ، وإيراد الأشباه والنظائر ، واستحضار الأمثلة والشواهد والأقوال ، واختراع العلل والبراهين[1].

يعدّ الكتاب مادة غزيرة لدراسة مستقلّة تكشف عمّا امتاز به هذا العالم الجليل من قدرة فائقة ، وليس هذا بكثير على " أبي الفتح " الذي لم يتكلّم أحد كلاما أدقّ من كلامه في التصريف.

" ابن جنّي " صاحب الصيت الذائع الذي طبّقت شهرته الآفاق ، وشرّق ذكره في النّاس وغرّب ، وأصبح اسمه علماً على الدراسات الصوتية والتصريفية واللّغوية ، وأمّا المادة العلمية الّتي ضمّها " أبو الفتح " هذا الأثر الثمين ، فإنّها لن تتوفّر في أيّ كتاب آخر ، فهو كتاب فريد في نظمه وتبويبه وموضوعه ، لم يسبقه إليه أحد ، وقد اشتمل على مقدمة في علم الأصوات ، وفيها تكلّم كلاماً بسهر السابقين ، ونال إعجاب اللّغويين في العصر الحديث.

وإنّ من يقرأ كتابه يرى صدق هذا القول ، والحقّ أنّ النّتائج الّتي وصل إليها هذا العالم في هذا الوقت الذي كان يعيش فيه لتُعدّ مفخرة له ولمفكّري العرب في هذا الموضوع.

---

[1] - ينظر المرجع نفسه – ص 40 – 45.

ولا نكون نبالغ إذا قلنا : لئن كان " المتنبّي " مالئ الدنيا شاغل النّاس في مجال الشعر ، فإنّ " ابن جنّي " مالئ الدنيا شاغل الناس في ميدان الدراسات الصوتية والتصريفية واللّغوية.

الفصل الثاني

جهود المحدثين

المبحث الأوّل

" عبد الواحد وافي "

1- نشأة اللّغة :

إنّ للّغة نشأتان :

أ- **نشأة عند الإنسان** : وهي حينما يلفظ الإنسان أصواتا مركبة ذات مقاطع وكلمات للتّعبير عمّا يجول بخاطره من معان.

ب- **نشأة عند الطّفل** : وهي حينما يشرع في تقليد أبويه والمحيطين به فيما يلفظون به من مفردات وعبارات ، فتنتقل إليه لغتهم.

ونشأة اللّغة عند الإنسان تنقسم إلى أنواع من التعبير الإنساني والذي له طرق كثيرة يرجع أهمّها إلى قسمين رئيسيين :

* قسم يتعلق بالتعبير الطّبيعي عن الانفعالات : كالصّراخ والضّحك والبكاء ، والّتي يعبّر عن قيام حالة وجدانية خاصّة بالشخص الصّادرة عنه. وهي تنقسم إلى تعبيرات بصرية عن طريق حاسّة النظر ،كالحمرة والصفرة ، وتعبيرات سمعية عن طريق حاسة السّمع كالضحك والبكاء.

* قسم يتعلق بالتعبير الوضعي الإرادي : ويتمثل في جميع الوسائل الإرادية الّتي يعبّر بها الإنسان عن معانيه ، وذلك من تعبيرات سمعية إرادية ، وتعبيرات إرادية نظريّة.

وتشترك معظم فصائل الحيوان والإنسان في التّعبير الطّبيعي عن الانفعالات سواءٌ في التعبير البصري أو السّمعي ، ومن أمثلة ذلك : التعبير عن الجوع والخوف والغضب...وأيضا التعبيرات البصرية غير المقصودة كاتساع الحدقة وضيقها ، والتعبيرات السمعية الإرادية وهي الّتي تمثل كلمة "لغة" فيظهر أنّ الإنسان اختصّ بها عن سائر الفصائل الحيوانية ، كما أنّه اختص عنها كذلك بطائفة من المراكز

المخيّة والّتي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللّغة ، مثل : مركز إصدار الألفاظ ومركز حفظ الكلمات المسموعة[1].

ولا شكّ أنّ الفضل في نشأة اللّغة الإنسانية يرجع إلى المجتمع نفسه ، فاللّغة في كلّ مجتمع هي نظام عام يشترك الأفراد في اتّباعه ، ويتخذونه أساسا للتعبير عمّا يجول بخواطرهم وفي تفاهم بعضهم مع بعض.

وهناك أربع نظريات تبحث في نشأة اللّغة:

أوّلا : نظرية تقرّر أنّ الفضل في نشأة اللّغة يرجع إلى إلهام إلهي ، هبط على الإنسان فعلّمه النّطق وأسماء الأشياء ، ولا يكاد أصحاب هذه النّظرية يقدّمون دليلا عقليا يعتدّ به ، وهم يعتمدون على قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[2]. فهذا النّص ليس صريحا كما يدّعون ، بل إنّه يحتمل أن يكون الله تعالى أقدر الإنسان على وضع الألفاظ.

---

[1] - ينظر : عبد الواحد وافي : علم اللغة – مصر – القاهرة – دار النهضة – 1967 – ط7 – ص 74 – 79 – 89.

[2] - سورة البقرة – الآية 31.

ثانيا : تقرّر هذه النّظرية أنّ اللّغة ابتدعت واستحدثت بالتّواضع والاتّفاق وليس لهذه النّظرية أيّ سند عقلي أو نقلي أو تاريخي ، وقد ذهب المتعصّبون له في تصوير منشأ اللّغة مذاهب غريبة تدلّ على مبلغ انحرافه عن جادّة الصّواب ونطاق المعقول.

ثالثا : تقرر هذه النّظرية أنّ الفضل في نشأة اللّغة يرجع إلى غريزة خاصة زوّد بها في الأصل جميع أفراد النّوع الإنساني ، وأنّه بعد نشأة اللّغة الإنسانية الأولى لم يستخدم الإنسان هذه الغريزة ، فأخذت تتلاشى وتنقرض.

رابعا: تقرر هذه النّظرية أنّ اللّغة الإنسانية نشأت من الأصوات الطّبيعية للتّعبير عن الانفعالات كأصوات الحيوان وأصوات مظاهر الطّبيعة[1].

نلاحظ أنّ الآراء اختلفت حول نشأة اللّغة فكثرت النّظريات ، إلاّ أنّ "عبد الواحد وافي" يذهب إلى أنّ هذه

[1] – ينظر : المرجع نفسه – ص 90.

النظريات أكثرها اتّفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النّشوء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطّبيعة والنّظم الاجتماعية.

2- تطور اللّغة :

إنّ اللّغة الإنسانية قد نشأت ناقصة مبهمة في نواحي أصواتها ومدلولاتها وقواعدها ، ثم سارت بالتّدريج في سبيل الارتقاء متأثرة في تطورها بعوامل كثيرة أهمّها :

- عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة ، فكلّما اتّسعت هذه الحضارة كثرت حاجاتها ونهضت لغتها.
- عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللّغة.
- عوامل طبيعية ونفسية وجغرافية.
- تأثر اللّغة بلغات أخرى.

وبهذا تتعدّد فيها فنون القول ، وتدخل فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والاشتقاق. فقد كان انتقال العرب من همجيّة الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، أثرٌ في نهضة لغتهم

واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل الحياة. فانتقال الأمّة من البداوة إلى الحضارة يهذّب لغتها ، ويسموا بأساليبها.

كما أنّ لمظاهر النشاط الاقتصادي دور في طبع اللّغة بطابع خاص في مفرداتها ومعانيها وتراكيبها ، وقد تؤثر هذه المظاهر في أصوات اللّغة نفسها من خلال مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التّطور الصّوتي.

واللّغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة ، وخصائص الأمة العقلية ومميزاتها في الإدراك والوجدان ومدى ثقافتها ، ومستوى تفكيرها ينبعث أيضا في اللّغة[1].

ومن هنا نجد أنّ اللّغة الإنسانية رغم تأثرها بهذه العوامل إلا أنّها استطاعت أن تكون أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب.

---

[1] - ينظر : عبد الواحد وافي : اللّغة والمجتمع – مصر – القاهرة – ط3 – ص 9.

3- حياة اللّغة :

إنّ أهمّ ما يميّز حياة اللّغة هو تفرّعها إلى لهجات ونشأة فصائل من جرّاء هذا التفرع،وصراع لغة مع لغة أو مع لغات أخرى ،وتطور اللّغة العام.

أ- **تفرع اللّغة إلى لهجات ولغات** : وهو نتيجة لازمة لسعة انتشارها ، وتختلف اللّغات البشرية في مبلغ انتشارها ، فمنها ما تنتشر في مناطق واسعة من الأرض ، ومنها ما يظلّ حبيسا في منطقة ضيّقة من الأرض وعند فئة قليلة من الناس.

وهناك من اللّغات ما تتاح له فرصة مواتية فينتشر في مناطق واسعة من الأرض ، ويتكلّم به عدد كبير من الأمم الإنسانية ، ولانتشار اللّغة أسباب كثيرة منها:

* أن تشتبك اللّغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى ، فتدخل بذلك أمم جديدة في عداد الناطقين بها ، كما حدث للّغة العربيّة إذ تغلّبت على كثير من اللّغات السّامية الأخرى.

* أن ينتشر أفراد شعب ما على أثر هجرة أو استعمار.

* أن يتاح لجماعة ما للنّمو الطّبيعي في أوطانها الأصيلة نفسيا[1].

إذن فالعامل الرّئيسي في تفرّع اللّغة إلى لهجات ولغات هو سعة انتشارها فليس في قدرة الأفراد أن يحولوا دون تشعب لغة ما إلى عدّة لهجات ولا أن يتحكّموا في أيّة ناحية من نواحيه.

ب-انتقال اللّغة من السّلف إلى الخلف :

فعلى الرغم من أنّ الطفل يأخذ اللّغة عن أبويه والمحيطين به عن طريق المحاكاة والتعلم، فإنّ لغة الخلف في كلّ أمّة تختلف عن لغة السّلف في كثير من المظاهر ، وترجع أسباب ذلك إلى :

* النظم والتقاليد.

* كثرة استخدام الكبار لبعض المفردات في غير ما وضعت له.

وهذه عوامل اجتماعية تتطور من خلالها اللّغة.

[1] - ينظر : عبد الواحد وافي : علم اللّغة – ص 125 – 156.

أما العوامل غير الاجتماعية فترجع إلى :

* التّطور الطّبيعي لأعضاء النّطق في الإنسان والذي يتبعه تطور في أصوات الكلمات ومن ذلك ما حدث في اللّغة العربيّة.

* الأخطاء السّمعية الّتي تنشأ عن ضعف بعض الأصوات والّتي تؤدي إلى سقوط هذه الأصوات في أثناء انتقال اللّغة من السّلف إلى الخلف ، فقد يحيط بالصّوت بعض مؤثّرات تعمل على ضعفه بالتدريج حتّى يصل إلى عصر لا يكاد يتبينه فيها السّمع.

وهناك عوامل طبيعية وهي تشمل :

* الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية والبيولوجية. وما إلى ذلك من الأمور الّتي تتصل بالبيئة الطّبيعية أو بتطوّر الناحية الجسمية في الإنسان أو باختلاف الشعوب في خواصها الوراثية[1].

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 56.

إذن نجد أنّ عبد الواحد وافي أراد أن يبين لنا أنّ التّطور اللّغوي الناشئ عن هذه الطّائفة من العوامل تبدو آثاره في مرحلة انتقال اللّغة من السّلف إلى الخلف.

4- خصائص اللّغة :

أ- **الاشتراك اللفظي في اللّغة العربيّة** : وهو إطلاق عدّة كلمات على مدلول واحد ، أي أن يكون للكلمة الواحدة عدّة معان تطلق على كل منها ، على طريق الحقيقة لا المجاز ، مثل : لفظة "خال" الذي يطلق على "أخ الأم" أو "شامة الوجه"، أو السّحاب...، وقد اختلف الباحثون في مبلغ ورود المشترك اللفظي في اللّغة العربيّة. فذهب بعضهم إلى إنكاره بتاتا ، وبعضهم الآخر إلى كثرة وروده مثل : الخليل . سيبويه، ابن فارس ، الأصمعي ...إلخ، لكن من التعسف إنكار المشترك اللفظي إنكارا تامّا.

وقد نشأ الاشتراك بمعناه الصّحيح في اللّغة العربيّة من عوامل كثيرة أهمّها :

* اختلاف اللّهجات العربيّة القديمة.

* التّطور الصّوتي : فقد يتناول الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغييرات أو الحذف والزيادة وفقا لقوانين التّطور الصّوتي.

ب- **التّضاد في اللّغة العربيّة** :

التضاد هو نوع من أنواع الاشتراك اللفظي ، وقد اختلف الباحثون بصدد وروده في المشترك اللفظي ، وهو أن يطلق اللفظ على المعنى وضدّه ، كلفظ "الجون" الذي يطلق على الأبيض والأسود . و"الجلل" المستعمل في الجليل والهيّن ، وقد نشأ التضاد بمعناه الصحيح في اللّغة العربيّة من عوامل أهمّها :

* اختلاف اللّهجات العربيّة ، فبعض الألفاظ قد جاء التضاد من اختلاف القبائل في استخدامها مثل : لفظة "وثب" بمعنى "طفر" عند "مضر" ، وعند " حِمْيَر " بمعنى "قعد" .

* التّطور الصّوتي.

* رجوع الكلمة إلى أصلين ، وذلك راجع إلى انشعاب الكلمة من أصلين ، مثل : "هجد" بمعنى "نام وسهر".

ج- **النّحت** :

النحت هو أن تنتزع أصوات كلمة من كلمتين فأكثر أو من جملة للدّلالة على مركب من معاني الأصول الّتي انتزعت منها ، وقد جاء النّحت في اللّغة العربيّة على عدّة وجوه أهمّها الوجوه الثلاثة الآتية :

* نحت من جملة للدّلالة على التّحدث بهذه الجملة نحو : بسمل — حَمْدل . إذ قال : باسم الله — الحمد لله.

- ولم يرد هذا النّوع إلاّ في كلمات قليلة معظمها مستحدث في الإسلام.

* نحت من علم مؤلف من مضاف ومضاف إليه ، ينسب إلى هذا العلم أو للدّلالة على الاتّصال به بسبب ما ، نحو : عبشميّ — عبدريّ ، في النسب : إلى عبد شمس ، عبد الدّار. وهذا النّوع قليل كذلك في اللّغة العربيّة ولم يكد يسمع إلا في أمثلة قليلة.

* نحت كلمة من أصلين مستقلّين أو من أصول مستقلّة للدّلالة على معنى مركّب في صورة ما من معاني هذين الأصلين أو هذه الأصول.

كما أنّ هناك خصائص أخرى تتميّز بها اللّغة كالمولّد والدّخيل[1].

تتميز اللّغة العربيّة بعدّة خصائص ، لم يحمل "عبد الواحد " إلاّ بعضها ، في اعتقاده أنّ هاته الخصائص المذكورة فقط هي أهمّ وأفضل ما توضع للغة العربيّة.

5- صراع اللّغات :

يحدث بين اللّغات ما يحدث بين أفراد الكائنات الحية من احتكاك وصراع وتنازع على البقاء ، فأيّ احتكاك بين لغتين يؤدّي لا محالة إلى تأثّر كلّ منهما بالأخرى ، وتختلف نتائج هذا الصراع باختلاف العلاقات الّتي تربط الشعبين ودرجة الاحتكاك الاجتماعي والمادي والثقافي ، فتزيد حركة التبادل اللّغوي مثل ما حدث بين العربيّة والفارسيّة والتّركيّة. فمتى سكن شعبان منطقة واحدة أو منطقتين متجاورتين زادت نسبة التبادل اللّغوي بينهما ، فإذا كتب الغلب لإحداهما نراها

[1] – ينظر : عبد الواحد وافي : فقه اللّغة – لجنة البيان العربية – 1968 – ط6 – ص 173.

تسيغ من الأخرى مهما كثرت كميته ، أمّا اللّغة المغلوبة فلا تقوى على مقاومة ما يأتيها من اللّغة الغالبة ، و لم تستطيع لغة التغلب على الأخرى حيث تبقى كلّ منهما محافظة على بنائها مثل ما حدث مع اللّغة العربيّة والفارسية.

أمّا إذا كان هناك شعبان متجاوران ومختلفي اللّغة ، فأحيانا تنتصر إحدى اللغتين على الأخرى ، وتختل مناطقها عن طريق الاحتكاك ، وأحيانا أخرى تتساويان فتعيشان معا جنبا لجنب ، وحتى إذا لم تغلب إحدى اللغتين فهذا لا يحول دون تأثر كلّ منهما بالأخرى وهناك عوامل أخرى تؤدّي إلى الاحتكاك اللّغوي من بينها :

* اشتباك شعبين أو شعوب مختلفة اللّغات في حروب طويلة.
* توثق العلاقات الثقافية بين شعبين مختلفي اللّغة[1].

إذن هذه العوامل لها أثر كبير في تبادل المفردات والأساليب بين اللّغات المختلفة ، وقد تكون نتائج هذا التبادل اللّغوي أكبر منه بالمقارنة مع الصراع الذي يحدث بين اللّغات.

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 94 – 108.

6- عومل بقاء اللّغة :

هناك عدّة عوامل تساعد على بقاء اللّغة وعدم انقضائها ، من هذه العوامل :

* البحوث الّتي تقام للبحث في نشأة اللّغة وأصلها وحياتها ، وما يطرأ عليها من تغيرات وانقساماتها إلى لهجات ، والبحوث الاجتماعية وما يترتب عنها من علاقة بين اللّغة والحياة الاجتماعية وأثر المجتمع ونظمه وتاريخه في مختلف الظواهر اللّغوية.

* أيضا هناك معجمات ترمي إلى شرح المفردات ، فترتب الكلمات ترتيبا خاصّا ليسهل الرجوع إليها في مواطنها ، وكان "الخليل" أوّل من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل في كتابه " العين" ، فقد فطن من قبل "الفارسي" و"ابن جني" إلى موضوع الاشتقاق الكبير وهو دلالة الحروف في لفظ ما على أصل معنوي واحد كيفما اختلف ترتيبها.

ثم جاء بعده "ابن دريد" في "الجمهرة" ، وتلته معجمات كثيرة أخرى ، وهذا النّوع من المعجمات قليل

الفائدة للباحث وذلك أنّ مؤلّفيها قد وجّهوا كل عنايتهم إلى ذكر المعاني للكلمات والاستشهاد عليها أحيانا بالقرآن والحديث وكلام العرب ولكنهم أغفلوا إغفالا تاما تعقب معاني كل كلمة في مراحل حياتها وشرح تطوّرها في مختلف العصور وبيان الأصول الّتي انحدرت منها.

* وأيضا معجمات أخرى ترمي إلى بيان المفردات الموضوعة لمختلف المعاني ، فترتب المعاني بطريقة خاصّة وتذكر الألفاظ الّتي تقال للتعبير عن كل معنى منها.

وهناك أيضا عوامل أدبية تساعد على بقاء اللّغة واستمرارها ، ولهذه العوامل الأدبية مظاهر كثيرة من أهمّها : الرسم والتجديد في اللّغة ، وحركة التأليف والترجمة.

فالرسم يعدّ من الشروط الأساسية لحياة اللّغة ، وإن كان التكلم أوْلى ببقائها فمن المستحيل أن تنشأ لغة دون أن يكون لها مظهر صوتي ، وعلى الرغم من ذلك فبفضل الرسم تضبط اللّغة وتدوّن آثارها وتنتشر المعارف[1].

[1] – ينظر : عبد الواحد وافي : علم اللّغة – ص 31.

وبهذا نرى أنّ " عبد الواحد وافي " ذكر أهمّ العوامل المساعدة لبقاء اللّغة ، في الوقت نفسه انتقد العامل الثاني المتمثل في المعجمات ، رغم اعترافه بأهمّيته ، إلا أنّه عاد وقلّل من فائدته ودافعه الوحيد أنّ علماء اللّغة القدماء في وضعهم لهاته المعجمات ، انصبّ اهتمامهم على ذكر معاني الكلمات دون المحاولة للبحث عن أصلها وشرح تطورها.

7- حركة التجديد في اللّغة :

وهي من أكبر المظاهر أثرا في اللّغة ، وذلك راجع إلى :

* تأثر الأدباء والكتّاب بأساليب اللّغات الأجنبية ، مثلا : ما حصل للغة العربيّة من تأثر باللّغات الفارسية والإغريقية.

* إحياء الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة ، وكانوا يلجأون لذلك لكثرة ما يجدون مفردات في اللّغة المستعملة تعبّر عن المعنى الذي يريدونه ، حيث وضعوا بعض القواعد لهذه الألفاظ مثل: النحت والاشتقاق الأكبر ، ومزج كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة.

وقد ألّف بعض علماء العصر الحاضر معجمات حديثة لا تكاد تمتاز عن المعجمات القديمة إلاّ في حسن التنسيق أو نظام التّرتيب ، واستخدام بعض وسائل الإيضاح كرسم ما تدلّ عليه الكلمات من حيوان أو نبات أو جماد ، وما إلى ذلك[1].

وما يمكن قوله في هذا الصّدد ، أنّ "عبد الواحد وافي" لم يهتم بالمعجمات لا القديمة ولا الحديثة ، فقد كان أكثر ميولا إلى اللّغة من حيث نشأتها وتطورها ومعرفة جذورها والأصل الذي تنحدر إليه ، لأنه كان يراها غير كافية لإعطاء المفردات والكلمات المعنى الذي يفيد أيّ بحث.

[1] - ينظر : عبد الواحد وافي : اللّغة والمجتمع – ص 46.

المبحث الثاني

إبراهيم السامرائي

بدأ الإنسان في عصر مبكّرة يفكّر في الحقيقة اللّغوية ويفكر في سائر مظاهر الحياة الإنسانية ، وقد أدّى تفكيره هذا إلى أن يقّر الحقائق ويعلّلها ، ومن هنا نشأ التفكير اللّغوي، وقد ألفت الأمم كافة لغاتها واستعملتها حتّى أدّى بها الأمر إلى الإعجاب الذي تجاوز الحدّ المعقول ، وقال كلّ بقدم لغته وافتخر بمجدها الأثيل وأنّها باقية على الدهر.

1- تاريخ اللّغة العربيّة :

جاء المسلون فبحثوا في العربيّة وأعجبوا بها ، وسحرتهم لغة التنـــزيل ، فكان ما كان من دراسات في مسألة الإعجاز ، وجرّتهم هذه الدّراسات إلى القول بالتّقيف ، كمذهب " أحمد بن فارس " من أئمة اللّغة في القرن الرّابع

الشريفة الّتي خُوطب الكافة بها ، وعرضت عليها الجنّة والنّار في حواشيها وأحنائها.

ثمّ يعود فيقول : " وأنت تحسّ حين تقرأ في الأخبار أنّ لسان أهل الجنّة عربيّ مبين ، وأنت تقرأ قوله تعالى : ﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ﴾[1] ، فتعلم قيمة العربيّة وشرفها عندهم ".

إذن " السّامرّائي " يؤكّد على أنّ هذه اللّغة لا تعود للنّصوص الشّعرية بل لها تاريخ وبدايات قبل هاته النّصوص ، والذي تطلّب الجهود الجبّارة لتسود لغة التنـــزيل ، لغة القرآن الذي عمل على توحيد العربيّة لتكون لغة العرب عامّة.

2- تعريف اللّهجة :

هي علم لغوي أو سلوك لغوي لا يختلف عن اللّغة العامة ، فاللّهجة على هذا طائفة من المميزات اللّغوية ذات نظام صوتي تخصّ بيئة معيّنة ويشترك في هذه المميزات جميع

[1] – سورة النحل ، الآية 103.

معتمدا على قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[1] ، ويأتي " ابن جنّي " فيعرضُ للمسألة نفسها في باب القول على " أصل اللّغة إلهام هي أم اصطلاح "[2].

فهو يعرض رأي القائلين بالتّقيف ويشرحه ، وكيف أنّ الله علّم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللّغات ، ثمّ يعود للقائلين بأنّ أصل اللّغة لا بدّ من المواضعة ، و"ابن جنّي" لا يقطع في ذهابه إلى رأي من هذه الآراء ، فهو في عرضه لهذه الآراء متردّد في الأخذ بأحدها.

" السّامرّائي " نراه يشير إلى أنّهم أحبّوا العربيّة وتعلّقوا بها ، ومن أجل ذلك توهّموا أنّ آدم كان يعرف العربيّة ونسبوا إليه قول الشّعر ، وهم يرون أنّ أكثر من ضلّ من أهل الشّريعة عن القصد فيها وحاد عن الطّريقة المثلى إليها ، إنّما استهواه واستخفّ حلمه وضعفه في هذه اللّغة الكريمة

---

[1] – سورة البقرة ، الآية 31.

[2] – ينظر : إبراهيم السّامرائي : فقه اللّغة المقارن ، لبنان – بيروت – دار العلم – 1971 – ط1 – ص 06.

، ومسألة تقريب العاميّة من الفصيحة أمر يتعلّق بالزمن الطويل وذلك عن طريق نشر العلم والثّقافة بين أبناء الجيل الواحد ، الذي من شأنه أن يرفع مستوى اللّغة المستعملة الّتي هي قريبة من الفصحى. هناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ، ونستطيع أن ندلّل على قربها من الفصيح إذا نظرنا إلى اللّغة الّتي يستعملها المثقفون اليوم في محادثاتهم اليومية واستعمالاتهم ، فهي لغة في مجموعها تكاد تخلو من اللّفظ العاميّ الدّخيل ، فمجموعة ألفاظها على العموم فصيحة.

فالمتكلّمون بها يلتزمون الإسكان في جميع صورها ، وهذا ما نَصبُوا إليه في تقريب العاميّة من الفصيح[1].

فالسّامرّائي نراه يشير إلى أنّ مسألة تقريب العاميّة من الفصيح ليس بمستحيل الحلّ ، وذلك لأنّ شيوع الثقافة تيسّر المعرفة على شكل عام كفيل برفع مستوى اللّغة إلى الحدّ الذي كانت عليه العربيّة في مختلف عصورها ، حيث لم يسلم عصر من عصور اللّغة أو التّاريخ اللّغوي من ازدواج في اللّغة.

---

[1] – ينظر : المرجع السابق – ص 13 – 52.

وجملة القول أنّ نشر المعرفة بين الناس والاتّصال فيما بينهم يمكن للّغة أن تسير إلى الأفضل ، والزمان كفيل بتحقيق هذا.

4- التّطور اللّغوي :

تسري سنّة التّطور في اللّغة عبر القرون والأجيال حتّى تعمل اللّغة إلى لهجات محليّة أو لغات محليّة ، تتميّز الواحدة عن الأخرى بمميزات ظاهرة واحدة ، وقد يكون التّطور طبيعيا إيجابيا إذا كان نتيجة تأثر بحضارة أمّة من الأمم من حيث النّظم والعقائد والتقاليد والعادات ، أو المستوى الثقافي والبيئة اللّذان لهما أثر لا يقلّ عن ذلك أبداً. وقد تؤدّي عوامل معيّنة إلى " موت اللّغة " وصيرورتها إلى لغات أو قد تزول اللّغة وينعدم استعمالها ، والتداول بها تأثراً بعوامل خارجيّة[1].

" السّامرّائي " نراه يشير إلى التّطور الذي يذكر أنّه يكون سلبيّا كما يكون إيجابيا ، ومن أجل هذا نستطيع أنّ

[1] – ينظر : إبراهيم السّامرّائي : التطور اللغوي التاريخي – ص 27.

نحدّد ما يسمّى في كتب اللّغة والنّحو بـــ "لغة " من الاستعمالات غير المألوفة أو غير صحيحة ، تلك الاستعمالات الّتي نسبت إلى " هذيل أو عقيل أو أسد أو طيّء... " إلاّ من قبيل هذا التّطور في اللّغة ، ويرى أنّ السّبب يرجع إلى عوامل كثيرة أهمّها :

1) انتشار العربيّة في بقاع واسعة ذات لغات سامية مثل : اليمن ، بقاع الهلال الخصيب (الآرامية ، الشمال الإفريقي ...الخ) ، وطبيعيّ أن تكون لهذه اللّغات القويّة شيء من التغيّر والتحريف على ألسنة هؤلاء المحدثين الجدد الذين لم تتعوّد ألسنتهم على أصواتها والنّطق بها.

2) العامل السياسي له أثر كذلك ، وذلك بعد إن استقلّت البلاد العربيّة وانفصلت عن وحدتها السياسيّة.

3) العامل النفسي والاجتماعي ، وذلك يتجلّى في العادات والتّقاليد والمستويات المختلفة من الثقافة ، وطرق خاصّة في التفكير ، فمثلا : التّفكير اللّغوي للقرى الرّيفية تتّسم بعلامات يظهر فيها شكل المجتمع الصّغير الذي نعيش فيه ، فهو يختلف من مجتمع لآخر.

4) العامل الجغرافي له دوره أيضا ، فلطبيعة البلاد للبيئة الجغرافية في سهولها وجبالها ومناخها أثر في الثقافة ، وهذا الأثر لا بدّ أن يترك نتائجه في المسألة اللّغوية[1].

" فالسّامرّائي " تعرّض لهذه العوامل وذلك ليبيّن أثرها وتأثيرها على الثقافة ونتائجها على اللّغة ، لكنّه في الوقت نفسه يشير إلى أنّ اللّغويين لم يقرّوا بأنّ اللّغة كأيّ من الظواهر الإنسانية خاضعة للتطور.

وبهذا يمكن القول أنّ اللّغوي الحديث يؤمن بالنظرة التاريخية وبالتّطور الذي تستدعيه عوامل التّطور المختلفة.

5- الانقسام والتوحّد اللّغوي :

يذكر " السّامرّائي " أنّ التّطور يؤول باللّغة إلى انقسامات تؤدّي إلى لهجات عدّة أو قل لغات، وبهذا فإنّ للّغة

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 31.

طريقين مختلفين أو متضادين وهما: "الانقسام إلى لغات أو لهجات " و " التوحّد اللّغوي ". حيث يرى بعض اللّغويين أنّ الاتجاه نحو الانقسام أقوى من الميل إلى التوحّد. فالانقسام هو " عملية التّطور الطّبيعية للّغة " ، وهو الذي أدّى بالمجتمع البشري العام أن يتوزّع توزيعا لغويا واسعا ، إلاّ أنّ هناك من يميل إلى القول بالتوحّد. ويرى أنّ عوامل التوحّد خلال العصور كانت أقوى في الحقيقة من عوامل الانقسام ، وأنّها كذلك في المستقبل.

* عوامل التوحد اللّغوي :

1) عامل الاختلاط والاتّصال والمشاركة في الحياة العامّة ، ويظهر ذلك في استقراء تاريخ العربيّة وكيف وصلت بها المواسم الدينية والاجتماعية إلى شيء من الانسجام اللّغوي ، وأفضل مثال على ذلك : غلبة قريش على سائر اللّغات وصيرورتها نظراً للمكانة الاجتماعية والدينية والتجارية الّتي كانت سبباً من أسباب الاتّصال والاجتماع.

2) النّصوص الأدبية والشّعبية الّتي تحوي على ما يتناقله الرّوّاة والقصاص من حكايات وأساطير وما يردّده المغنون ، وأكثر

هذه النصوص تقوم على الرّواية الشفوية ، وهكذا يؤول الأمر إلى شيء يشبه اللّغة المشتركة.

3) العامل السياسي ، فالتوحيد السياسي بين إقليمين أو مجموعتين بشريتين لا بدّ أن يؤول إلى نوع من التوحيد والانسجام خاصة إذا وُجد تفاوت في المستوى اللّغوي والحضاري.

4) العامل الثقافي ، فالمعاهد العلمية والجامعات ، والسّينما والإذاعة والتلفزة... تعمل عملها في هذه المشكلة اللّغوية ، فتميل اللّهجات إلى نوع من التوحيد ، كما يحصل الآن للعربيّة الحديثة الفصيحة أو الّتي تقرب من الفصيحة وذلك لجُنوحها إلى نوع من اللّغة المشتركة ، بالإضافة إلى ظهور المدن الكبرى بنشاطها المتنوّع في مختلف الميادين كان عاملا في التوحيد اللّغوي[1]. وبهذا نرى أنّ " السّامرّائي " يشير إلى أنّ التوحيد اللّغوي كان أكثر استمرارا وتناولاً من الانقسام اللّغوي.

---

[1] - ينظر : المرجع نفسه – ص 33.

6- الجديد في اللّغة :

يرى أنّه من غير المجدي في عصرنا الحاضر أن نبحث في أصل اللّغة ، فالذي يهمّنا من اللّغة أنّها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الإنسانية.

لكن إذا قلت للقارئ الكريم : أنّ اللّغة مادة تُظهر المجتمع الإنساني على حقيقته ، وهي وثيقة الصلة بين الإنسان وبيئته ، فما أتيت بجديد. ذلك أنّ الموضوع قد بحثه ذو الاختصاص من العلماء في عصورنا الحديثة فكتبوا فيه.

غير أنّه من الثّابت أنّ التّطور اللّغوي يحدث في مادة اللّغة الّتي تألف بنيتها ، أي الألفاظ الذي تُبنى منها اللّغة ، والّتي يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية " Sémantique " جديدة يستدعيها الزّمان والمكان. فاللّغة خير دليل يهتدي به الباحث إلى معالم من المجتمعات الحديثة[1].

[1] - ينظر : إبراهيم السّامرّائي : فقه اللّغة المقارن – ص 159 – 288.

نرى أنّ " السّامرّائي " يبيّن أنّ اللّغة لا تقتصر على كونها وسيلة من وسائل الثقافة ، وإنّما هي أساس كلّ نشاط ثقافي ، إذ هي أقوى الروابط بين أعضاء هذا المجتمع وهي في الوقت نفسه رمز إلى حياتهم المشتركة وضمان لها وعامل مهمّ للترابط بين جيل وآخر.

ويذكر أيضا أنّها من صنع الناس أنفسهم يضعون مقاييسها القابلة للتبدّل والتغيّر ، غير أنّ الذين جعلوا أنفسهم حماة للعربيّة في جميع أطوارها لم يتفهّموا سنّة التّطور ولم يقبلوا الجديد.

وجملة القول ، ما دمنا آخذين هذه النظرة الواسعة ، نقول أنّ " السّامرّائي " من خلال حديثة عن اللّغة أراد أن يفسح للجديد لها مكانا في كتبنا اللّغوية ، وجعله مادّة من هذه اللّغة رغم أنّ المستعملين قذفوا به.

وبهذا يتّضح لنا أنّ تقييد الجديد في اللّغة بعصره وظرفه ، يستطيع إعطاء الاستعمال قيمته ومكانته في اللّغة ، غير مبالغين بكونه خارجا عمّا ألف الناس من الفصيح المشهور.

وفي الأخير نقول أنّ الكلام واللّغة من خصائص كلّ المجموعات الإنسانية ، فلم يُعثر أبداً على قبيلة أو مجتمع بلا لغة ، وكلّ ما يعارض ذلك ليس إلاّ من قبيل الفلكلور والخرافات ، فاللّغة ضرورية لكلّ مجتمع من أجل التواصل بين الأفراد الذين لهم دور كبير من خلال علاقة الفرد الرئيسية باللّغة ، فهو يعتبر العنصر الفعّال في بقاء اللّغة أو انقضائها أو تطوّرها من خلال استعماله للّغة في شتّى مجالات حياته ، ونستطيع أن نقول أنّ " اللّغة والفرد " أو المتكلّم عنصران مترابطان يكمّل بعضهما البعض ، فلا حياة للّغة بدون فرد ولا حياة للفرد بدون لغة.

وخلاصة القول أنّ هذا المنهج الذي اتّبعه " تمّام حسّان " مطبّق على اللّغة العربيّة ، وفائدة هذا المنهج تتمثّل في تلخيص الدّراسات اللّغوية من الشوائب الأخرى ، ليجد الطالب نفسه أمام موضوع مستقلّ لا يعتمد في أفكاره ولا في اصطلاحاته على فروع المعرفة الأخرى.

إذن فليس في العلم حقيقة مطلقة ، إنّما توجد الحقائق المطلقة في أذهان المتعصّبين.

خلاصة :

من خلال هذه الآراء المختلفة للمحدثين والقدماء ، أوّل ما نلاحظه ، ميول هؤلاء المحدثين إلى " ابن فارس " أكثر من غيره وتأثرهم بمنهجه.

حيث نجد " عبد الواحد وافي " لم يَسِرْ إلاّ على مذهب " ابن فارس " بدليل ما أخذه عنه ، فكان السبّاق لذلك ، ثمّ يأتي " إبراهيم السّامرّائي " ويقول أنّ " ابن فارس " هو من وضع اللّبنة الأولى في صرح عمل المعجمات ، فكان " السّامرّائي " يُجلّه ويطريه وينقده في الوقت نفسه ، ولم ينس لُبّ اللّبنة وهو " الخليل " الذي لم تسمع الكلمة إلاّ من عنده.

و" تمّام حسّان " الذي أبى إلاّ أن يذهب مذهب " ابن فارس " لأنّ هذا في رأيه يوافق نظرة علم اللّغة الحديث ، وآخذا برأي " ابن جنّي " في اللّغة حين حاول الوصول إلى تفسير "نشأة اللّغة".

والأمر الملفت للانتباه أنّ جهود القدماء كانت أكثر غزارة من جهود المحدثين حول المصطلح اللّغوي ، فالقدماء درسوا اللّغة من ناحية معجميّة كانت عبارة عن معاجم لشرح

المفردات ، بينما المحدثون درسوها دراسة وصفية استقرائية وفق مناهج معيّنة ، أي دراسة تاريخية من نشأة تطور ، اعتبروها كائنا حيّا ينمو ويتطوّر ويموت.

وما زالت البحوث متواصلة حول هذا الموضوع ، وليس لها نهاية ، فاللّغة بحر لا حدود له ، ومهما قلنا أو ذكرنا فلا يمكن إعطاء هذا الموضوع حقّه.

وخلاصة القول ، فإنّ اللّغة ليست كيانا منفصلا ينمو وحده نموّاً ذاتياً ، ويحمل مسؤولية نفسه ، ولكنّها ظاهرة اجتماعية ترتبط بالإنسان وتتفاعل مع كل مظاهر حياته ، فاللّغة العربيّة ترقى بجهود أبنائها في العلم والحضارة والإنتاج ، فقيمة اللّغة تُستمدّ من قيمة أبنائها ، فهي ليست مجرّد ماض وتراث ، لذا فالوعي بأهمّيّتها وتنميتها وتطويرها ضروري لاستمرارها.

خاتمة

لقد أسعفتنا قراءتنا في موضوع المصطلح اللغوي أن نسجّل نتائج كانت عُصارة هذه المذكرة فيما يأتي :

أوّلا : إنّ " الخليل بن أحمد " بعمله " كتاب العين " يعدُّ جهدا ضخماً يهدي كلّ من يأتي بعده ، ويبيّن لهم الطريق والسبيل الأقوم ، على الرغم ممّا قيل في نسبة الكتاب إليه ، فإنّ المتّفق عليه هو نسبة المنهج والتنظير المحكم الفذّ إليه وإن وقع في التطبيق أو الحشو – كما يقولون – خلط وسهو وغلط ، فقد نسبه كلّ الأعلام إلى عبث الوراقين ، فكان كتاب " العين " بطريقته محشوا بكثير من الغريب الحوشيّ الذي لا يستعمله إلاّ أجلاف الأعراب في بواديهم القاسية ، ثمّ إنّ طريقة ترتيبه الخاضعة لمخارج الحروف والّتي جمعت كلّ الألفاظ الممكنة فانقادت على تسلسله فيها بعض من العناء والعسر الذي أدّى بالأعلام الذين خلفوه إلى اتّباع نظام آخر.

ثانيا : نجد عند " ابن فارس " الأمر يختلف في كتابه " مقاييس اللّغة " إذ أنّه اتّبع سبيل العلاّمة " الخليل " وأخذ عنه البدء بالأصل اللغوي وحتى شرح فروع هذا الأصل ، إلاّ أنّ له

صيغاً لم ترد عند " الخليل ". إضافة إلى جمع الأقوال وبعض الاختصار والتصرّف ، ثمّ تقسيمه وترتيبه الألفبائي المحكم الذي فاق تقسيم " الخليل " و" ابن دريد " اطّراداً ويسراً. كما اعتمد الأصول عن التقاليب ، وهي فكرة " المقاييس " الّتي تنبّه لها بعد اطّلاعه على كتاب " العين " ، وقد كانت في حدود ضيّقة من هذا الكتاب. هاته الفكرة الّتي مفادها أنّ هناك أصلا واحدا أو أكثر مشتركا في جميع معاني المادة الواحدة وصيغها المختلفة ، فاتّبعها " ابن فارس " ووضّحها وجعل منها نظريّة ثابتة عامّة طبّقها بنجاح على مواد كتبه في الثنائي والثلاثي ، غير أنّه لم ينجح في تطبيقها على الرّباعي والخماسي فنجده خلط بينهما في كلّ الأبواب ولم يفرّق بينهما أبداً واستعاض عنهما بالنّحت وإن لم تعدم أبواب الثنائي والثلاثي وبعض الخلط في الألفاظ المعتلّة ، وفي بعض الثلاثي مع الرباعي ، فضلاً عن اعتماده على الإيجاز وقصور بعض تفسيره عن توضيح المعنى ، ربّما لاشتهارها وقتها عند العرب.

ثالثا : " ابن جنّي " بكتابه " سرّ صناعة الإعراب " الذي ضمّنه علم التّصريف وبوّبه تبويباً، بناه على الترتيب المعجمي

الألفبائي ،. فكانت مادّة كتابه الأصلية في الإعلال والإبدال والزيادة والحذف ، وتعرّض لها حسب ترتيب الحروف في معجمه ، وجاء بما يسمّى بالإبدال اللّغوي ، وانتقل منه إلى الإبدال التّصريفي وإلى غيره من باقي الأبواب الّتي أثرى بها وأفاد في أسلوب تعليمي شيّق ممتع وفي وضوح وشمول واستطرادات كثيراً ما تأتي قصداً على شاكلة من سبقه من الأعلام الأفذاذ في كتبهم (وأبرزهم الجاحظ (255 هـ) مع ميله إلى بعض المسائل النّحوية ، ومحاولة تخريج بعض الشواهد تخريجا يحيد به في الأكثر إلى التكلّف الظاهر.

رابعا : إنّ المحدثين – اهتمّوا باللّهجة كسلوك لغوي لا يختلف عن اللّغة العامّة ، فاللّهجة طائفة من المميزات اللّغوية ذات نظام خاص تخصّ بيئة معيّنة يشترك في هذه المميزات جميع أفراد تلك البيئة ، وهذه اللّهجة تشكل مع اللّغة ازدواجية في كلّ العصور ، حيث لم يسلم عصر من عصور اللّغة أو التاريخ اللّغوي من ازدواج في اللّغة.

خامسا : سعى "عبد الواحد وافي" إلى بقاء اللّغة على أنّها ضرورية لكل مجتمع من اجل التواصل بين الأفراد الذين لهم دور كبير ومن خلال علاقة الفرد الرّئيسية باللّغة ، فهو يعتبره

لعنصر الفعال في بقاء اللّغة أو انقضائها أو تطورها إلى لهجات وصراعها مع لغات أخرى، وقد أشار إلى المعجمات وجعلها من عوامل بقاء اللّغة ، إلاّ أنّه يراها قليلة الفائدة بالنسبة لباحث ، فقد كانت عناية أصحاب المعاجم حول ذكر معاني المفردات والاستشهاد عليها بالقرآن والحديث وكلام العرب ، في حين أغفلوا معنى كل كلمة من حيث مراحلها وشرح تطورها في مختلف العصور.

سادسا : كان " إبراهيم السّامرائي " أكثر اعتناءا بدراسة اللّهجات وذلك بتقريب العاميّ الدّارج من الفصيح ، مشيرا إلى أنّ الكتب على كثرتها لم تهتم بلغات القبائل ولا لهجات الأقاليم ، بل اعتمدوا على الأساليب القديمة الجاهلية ، وان تطور أي لغة يؤول بها إلى انقسامات ، تؤدي إلى لهجات عدّة أو لغات بحكم ثباتها وطول بقائها فيما بعد ، وبهذا فإنّ للّغة طريقين مختلفين أو متضادّين وهي الانقسام إلى لغات أو لهجات والتوحد اللّغوي ، فهناك من الباحثين من يميل إلى تغليب الانقسام على التوحد ، ومنهم من العكس ، فنجد " إبراهيم السامرائي " من الذين يميلون إلى تغليب التوحد على الانقسام — وان اللّغة كائن حيّ يولد وينمو ويحيا ثمّ يموت ،

وتتحول عبر حالات متلاحقة من النمو حتّى الوصول إلى حالة الموت ، وهذا التّحوّل هو التطوّر ، ثم إذا كانت اللّهجة كلاما ، فاللّغة هي مجموعة الشروط والقواعد الّتي تراعي في إحداث هذا الشكل ، وهي أيضا مجموعة من النظم الصّالحة للتنفيذ في صورة الكلام أو اللّهجة ومن هنا كانت الدّراسات التاريخية للّغة دراسة لتاريخ اللّهجة ، فقد قال علماء اللّغة : " إنّ اللّغة مستودع صامت".

سابعا : جرت عادة الباحثين اللّغويين في الماضي على أن ينظروا إلى اللّغة من زاوية المتكلّم لا من زاوية الباحث ، أي التفكير في دراستها تفكيرا معياريا لا أن يفكروا تفكيرا وصفيا وهو ما ذهب إليه "تمام حسّان " بذكره أنّ هدف الباحث يختلف اختلافا تاما عن هدف المتكلم ، فإذا كان هدف المتكلم هو صّحة الاستعمال ، فإن هدّف الباحث هو الوصف عن طريق المنهج الصالح الذي لا بدّ أن يعترف بطبيعة اللّغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تمثل وعاءا للتجارب في كل مجتمع ، فاللغة إذن موضوع من موضوعات الوصف لا مجموعة من القواعد كالقوانين.

ومن هنا نستطيع القول إنّ اللّغة والفرد أو المتكلّم عنصران مترابطان يكمّل بعضهما بعضا ، فلا حياة للّغة بدون الفرد ولا حياة للفرد بدون اللّغة.

من خلال هذه النتائج نستخلص أنّ اللّغة مهما كان أصلها ، فإنّها في الأخير ترجع إلى المجتمع الذي يصفها ويُجمع عليها ويشترك كل أفراده فيها ، فاعتبروها أصواتا منطوقة قبل أنّ تكون حروفا مكتوبة ، وبيّنوا وظيفتها الأساسية الّتي تتمثّل في تبليغ الأفكار والمعاني قصد التفاهم ، وهذا هو القصد الأساسي من تعلّمها وتعليمها. ومهما يكن رأي العلماء القدماء والمحدثين والبحث المعاصر في هذه القضية ، فإنّ العلم يفرض علينا احترام الرأي الذي يستند إلى الحجّة والحقيقة.

هذه خلاصة النتائج الّتي استنبطناها في حصاد قراءتنا للجهود اللّغوية لعلمائنا في ماضيهم وحاضرهم.

﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾

المحتويات

الموضوع:	الصفحة
التصدير:	
مقدمة.....	أ
– المدخل: بين اللغة والكلام.....	1
تعريف اللغة.....	2
نشأة اللغة.....	9
اللغة توقيف.....	11
اللغة اصطلاح وتواضع.....	14
تركيب اللغة.....	17
منهج البحث في اللغة.....	19
الجديد في اللغة.....	21
تعريف الكلام.....	26
الاصطلاح.....	31
تركيب الكلام.....	34
آراء النحاة القدماء في تقسيم الكلام.....	38
آراء النحاة المحدثين في تقسيم الكلام.....	41
الفرق بين اللغة والكلام.....	46

الفصل الأول

جهود القدماء

51

ول: الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين..... 52

ترتيب حروف المعجم بحسب مخارجها..... 59

تبويب المعجم..... 62

نظام الأبنية..... 62

طريقة الكشف عن الكلمات في العين..... 64

المهمل والمستعمل..... 67

أبواب المعجم بحسب الأبنية..... 68

نقد المعجم..... 75

ثاني: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة

أصل اللغة عند ابن فارس..... 79

دراسة معجم المقاييس..... 82

منهجه..... 85

آراء بن فارس اللغوية..... 86

نظرية الأصول..... 93

خصائص المقاييس..... 100

الفرق بين المجمل والمقاييس..... 103

نقد المعجم..... 104

المبحث الثالث: أبو الفتح عثمان بن جني
معجم سر صناعة الإعراب..... 107
أصل اللغة عند ابن جني..... 109
نقد رأي ابن جني في أصل اللغة..... 112
دراسة كتاب سر صناعة الإعراب..... 112
منهجه..... 116
خصائص الكتاب..... 123
نقد الكتاب..... 125

الفصل الثاني:
جهود المحدثين

المبحث الأول: عبد الواحد وافي..... 128
نشأة اللغة..... 128
تطور اللغة..... 132
حياة اللغة..... 134
خصائص اللغة..... 137
صراع اللغات..... 140
عوامل بقاء اللغة..... 142
حركة التجدد في اللغة..... 144
المبحث الثاني: إبراهيم السامرائي 146
تاريخ اللغة العربية..... 146
تعريف اللهجة..... 148

لة اللغوية..... 149
ـ اللغوي..... 151
سام والتوحد اللغوي..... 153
ـ التوحد اللغوي..... 154
ـ في اللغة..... 156
..... 161